

قصص بوليسية للأولاد

لغز الخريطة العجيبة



Looloo

www.dvd4arab.com



الغز الصغير الغامض



الجدّ عمران

كان عارف يرقد على
سريره إثر نوبة من الإنفلونزا
الحادة أصابته منذ أسبوع .
عندما دخل عليه أخوه الأكبر
عامر وقال له : كيف حالك
الآن يا عارف ؟ . ولما لم يتلقَ
منه رداً غادر الغرفة .

وخارج الباب قابل أخته
عالية وكانت في طريقها

للسؤال عن صحة أخيها ، فحذّرها قائلاً : أنصحك بعدم
الدخول ، فحتى قطه المحبوب مرجان الذي لا يفارقه لحظة ،
طرده من الغرفة ، بالرغم من إلحاحه في الدخول ، وموائه
المستمر .

قالت له عالية : أنا أيضاً كنت مريضة ولكني لم أفعل
مثله ! فضحك عامر وقال لها : لأن البنات يتحملن عادة أكثر
من الأولاد !

فقلت عالية وهي تنهد : لا بأس ، ربما يخرجها
جدو عمران من حالة الكآبة التي تلازمه عندما يصل باكراً !
وجدو عمران هو جدّهم لأبيهم ، يحبونه حباً جمّاً .
ويتربّون زيارته باشتياق من آن إلى آخر .
أرسل الجدّ خطاباً بأنه سيصل إلى القاهرة ، متعلّلاً بأن له
وقتاً طويلاً لم يرههم فيه !

أخذ الإخوة الثلاثة يتناقشون فيما بينهم : ترى ما هي
أسباب هذه الزيارة المفاجئة ؟ وهل يتحمل عجوز مثله مشقة
السفر الطويل ؟ لمجرد رؤية أحفاده ؟
وأخيراً قالت عالية : ربما كان جدو يشعر بالوحدة !
فأجابها عامر : أو ربما كان هناك سبب آخر نجهله لهذه
الزيارة المفاجئة .

• • •

والإخوة الثلاثة : عامر وعارف وعالية ليسوا ككل
الأطفال . فهم يمتازون بالذكاء الخارق ، وبسرعة البديهة
الحاضرة ، وبالشجاعة الفائقة ، ورجاحة العقل ،
وبعد النظر . وما يميزهم عن غيرهم هو حبّهم للمغامرات
والمخاطرات ، ومحاولة اجتياز كل ما يصادفهم من عقبات .

كما أنهم يمارسون العديد من الهوايات ، لعل أبرزها
شغفهم بحل طلاسم الألغاز والأسرار التي تصادفهم في
الحياة ، وهم ينجحون دائماً في ذلك ، ويصلون في النهاية
إلى هدفهم ، ولم يفشلوا في ذلك ولو لمرة واحدة !
والأخ الأكبر عامر هو الرأس المفكر المدبّر ، الذي
لا يعصى عليه لغز . يلجأ عارف وعالية إليه في كثير مما يستعصى
عليهما كشفه ، وقد كان دائماً عند حسن ظنهما به .

وعارف هادئ متزن ، غير متسرع ، يأخذ الأمور بتأنٍ
وروية ، فهو صمام الأمان لهذا الثلاث !
أما عالية الصغرى فهي رقيقة جذابة ، لمّاحة ، ذكية ،
لا تفوتها شاردة ولا واردة ! وكم كان لملاحظاتها الدقيقة من أثر
حاسم في الوصول إلى الحلول الصحيحة .

وكان والدهم يشجعهم على ما يقومون به من أعمال ، طالما
أنها لا تتدخل في أعمالهم المدرسية . بل كان يفخر ويزهو بهم
عندما يصل إلى سمعه إعجاب الأهل والأصدقاء بهم ،
وبمغامراتهم ، وكشفهم الأسرار والألغاز المستعصية المبهمة !

• • •

وصل التاكسي يحمل الجدَّ عمران ، وكانت عيونهم
الستَ ترمقه من وراء النوافذ !
إنه عجوز حقاً ! .. كان يتوكأ على عصاه ، بالكاد
تقوى ساقاه على حمله . لاشك في أنه يشعر الآن بالإرهاق
بعد الرحلة الشاقة الطويلة .

دخل عمران المنزل وجلس وسطهم وهو يتفَرَّس في
وجوههم . صحيح إنه عجوز في الثمانين من عمره ، ولكن
علامات الذكاء كانت تشع من عينيه البرّاقتين .
ألقي عليهم الجدُّ نظرة فاحصة ثم قال : أنت عامر ..
وأنت عارف .. وأنت عالية طبعاً ! إنكم لم تتغيروا منذ زيارتي
لكم في العام الماضي .
نطق عامر وعالية في صوت واحد : هذا صحيح يا جدّو !
ولكن طولنا زاد قليلاً !

أما عارف فقد لزم الصمت كعادته ، ثم ما لبث أن
اندفع خارجاً يقصد حجرته ! ..

اندهش الجدَّ عمران من تصرف عارف الغريب . ولكن
عالية اعتذرت له ، وأوضحت أن أخيها كان مريضاً
بالإنفلونزا ، وأن الرقاد الطويل ربما أثر على أعصابه ! ولكنه



دخل « عمران » المنزل وجلس وسطهم يتفَرَّس في وجوههم

في العادة ولد مهذب ، دائم الحركة والنشاط .
قال الجد عمران : عارف في حاجة إلى تغيير الهواء
والمكان بعد مرضه ، وأنت أيضاً يا عالية ، وأنت يا عامر .
ما رأيكم في إجازة قصيرة تقضونها بمنزلي في مرسى مطروح ؟
نظرت عالية إلى والدها نظرة استعطاف ، وكان يجلس
معه ، وكأنها تستحثه على قبول هذه الدعوة الكريمة .
وافق الوالد في الحال ، على أن يلحق بهما عامر خلال
أيام ، بعد أن ينجز له عملاً هاماً كلفه به . وقال إن الفرصة
سانحة ، خاصة أن إجازة آخر السنة سوف تبدأ بعد أربعة
أيام .

نادت عالية على أخيها عارف ، فجاء في تكاسل وتراخ ،
وزفت إليه الخبر المفرح . وهنا فقط انفرجت أساريره عن
ابتسامة مشرقة عريضة .

قال الجد عمران : إن منزله يوجد على بُعد قليل شرق
مرسى مطروح ، ويقع في سفح ربوة صخرية عالية قريبة
من شاطئ البحر . وأضاف أن بهذا الشاطئ بعض الصخور
العالية ، وهي تشبه صخرة روميل الشهيرة ، وبعض الكهوف
الصغيرة المهجورة ! ! .

صمت عمران قليلاً ، ثم نظر إليهم مبتسماً في دهاء ، وقال :
وهناك سبب وجيه آخر بجانب التزهة وتغيير الهواء ! ! .
نطق عارف - لأول مرة منذ أسبوع - وهو يكاد يطير
من الفرح : وما هو هذا السبب يا جدو ؟ فأجابه :
عندى هناك لغز صغير غامض ، أرجو أن تساعدوني
على حله ! !

وعندما سمع عامر بهذا الخبر ، شعر بالحسرة والندم
لأنه لم يصب مثلهما بالأنفلونزا ، وبانشغاله في عمل هام ،
حتى كان يصاحبهما في الحال ليشارك في حلّ هذا اللغز
الغامض الصغير !

• • •

وصل الجلد عمران وعارف وعالية إلى الإسكندرية ،
وكان عارف يحمل بين يديه قطعة « مرجان » الذي لا يفارقه لحظة
واحدة . ومرجان قط أسود ضخّم ذو عيون خضراء كبيرة
كعيون النمر .

وبعد ساعة انتقل الأربعة إلى قطار آخر ، أخذ ينهب
بهم الأرض في سرعة إلى مرسى مطروح .

كان عارف وعالية ينظران من نافذة القطار ، ويدهشان

من رؤية رمال الصحراء المترامية الأطراف ، ومن طواحين
الهواء المنتشرة على الساحل ، وهي تدور بفعل الرياح .
شرح لهما عمران عمل هذه الطواحين ، وأنها تستخرج
المياه من جوف الأرض لرى الصحراء .

أما القط مرجان فكان يستغرق في النوم ، لاهية مياه
البحر الزرقاء ، أو رمال الصحراء الصفراء ، أو طواحين
الهواء !

وعندما وصل القطار إلى مرسى مطروح ، ركب الأربعة
الطفطف الذي ينتشر استعماله في هذه المدينة . والطفطف
هو عربة صغيرة تظلّلها تende من القماش ، ويجرها حمار !
وكان الحمار يتهدى وهو في طريقه إلى دار عموان مسكن
العائلة من قديم الزمان .

وتقع هذه الدار العتيقة أسفل ربوة صخرية عالية تعرف
باسم صخرة عمران ، وتبعد حوالى نصف كيلو متر من مرسى
مطروح ، ومائة متر من شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

وعائلة عمران هي أقدم وأعرق من سكن هذه المنطقة ،
وكان سائق الطفطف يعرف الجدة عمران جيداً .

كان عمران يحذر السائق من وعورة الطريق ، وخاصة



دار عتيقة تقع أسفل ربوة صخر عالية تعرف باسم «صخرة عمران»

عند حافة منحني يدور حول الصخرة العالية !
قال السائق : لا تخافوا ما دام معنا قط أسود ! !
فضحك عمران وقال لعارف : أسمعت يا عارف ! سوف
يشهر قطك الأسود مرجان في هذه الناحية !
اندهش عارف وسأل جده عن السبب ، فأجابه الجد
بأن الناس هنا يؤمنون بالخرافات ، ويتشاءمون مثلاً من القط
الأبيض ، في حين يتفاءلون بالقط الأسود ! !
ثم استرسل في حديثه قائلاً : جاءني أحد الصيادين
من مدة ، وكان يرتعد من الخوف ، وأخبرني أنه شاهد ثمانية
من الغربان السوداء تطير فوق رأسه ، وذلك عندما كان
يقف

توقف الجد فجأة وهو يتردد في الحديث ! فسأله عارف :
أين كان يقف هذا الصياد ؟ . . . فأجابه عمران : قريباً
من هذا المكان ! ! . . .

وهنا التفت السائق نحوهما قائلاً : هنا . . على حافة
صخرة عمران ! . فانبرى له عمران وهو يحاول تغيير مجرى
الحديث : هذا كلام فارغ ! . . ما هي إلا خرافات
ونزعجيات ! ! . .

وفي النهاية وصل الطفطف بالقافلة الصغيرة أمام بوابة
حديقة الدار . فقال عمران : ها قد وصلنا والحمد لله ،
وها هي مبروكة في انتظارنا .

صاحت عالية في دهشة : يا له من منزل كبير ! كيف
تعيش فيه وحلك يا جدو ؟ . وقال عارف : ومن تكون
مبروكة هذه ؟ فأجابه عمران بأن مبروكة ترعى شثونه ، وأنها
التحقت بخدمته منذ ستة أشهر تقريباً !

نظر عارف وعالية إلى مبروكة ، وكانت تلبس جلباباً
أسود ، وتضع طرحة سوداء على رأسها ، ولها أنف مقوّس ،
وعينان مستديرتان كعيون البوم !

خيل إليهما أن مبروكة لا ترحّب بقدميهما ، وأنها تنظر
إليهما شذراً ، ولذلك فهما لم يشعرا نحوها بالميل أو العطف
من النظرة الأولى !

دخل الجميع إلى صالة المنزل الرحبة ، حيث وقف
عارف وعالية وهما مندهشان من أثاث المنزل القديم الأثري .
شاهدا ساعة مرتفعة ، ذات بندول طويل يروح ويحيى يميناً
وشمالاً ، وكانت تدقّ بصوت عالٍ يرنّ في أرجاء المنزل .
وبجوار الساعة شاهدا سحّارة قديمة مطعمة بالعاج والصدف .

وتزَيْن الحوائط رؤوس غزلان محنطة ذات قرون حادة ،
وهي مما كان يصيدها جدّهما في شبابه في الصحراء المجاورة .

أما القط مرجان فأخذ يموء بصوت عالٍ ، ورفع ظهره
وذيله إلى أعلى وهو يتحفز للهجوم ، فقد فوجئ ببغاء خضراء
كبيرة في قفص جميل ، وهي تصيح في وجهه : ازيك !
إنت مين ؟ أهلاً وسهلاً ! ..

صعد عارف وعالية إلى الدور العلوى ، وكان السلم
ضيقاً ومظلماً ، ومبروكة تسير خلفهما على ضوء مصباح صغير ،
لأن الدار كانت خلواً من الكهرباء ! !

فتحت مبروكة باباً وقالت لعارف : هذه هي حجرتك ،
والغرفة المجاورة لأختك .

ولكن قبل أن يتحرك عارف وعالية .. حدث شيء
غريب ! ! .. فقد وصل خادم صغير في سن عارف تقريباً ،
وهو يحمل لهما حقائبهما ، ثم وضع الحقائب بجوار الباب ،
وانحنى فجأة يلتقط شيئاً ملقى على الأرض !

رأته مبروكة وهو يفعل ذلك فصاحت فيه بغضب :
ماذا تفعل يا سمارة ؟ . فأجابها : وجدت عقب سيجارة ! .
فصرخت مبروكة في وجهه : عقب سيجارة ! ! ..

لا أحد هنا يدخن ! .. أنت تتوهم ! هذه قطعة ورق
صغيرة ! .

ثم أسرع في التقاطها ودسّها في جيب جلبابها !
دخل عارف حجرتة يتبعه سمارة حاملاً حقييته ، على
حين صحبت مبروكة أخته عالية لفتح لها باب غرفتها
المجاورة .

نظر عارف إلى سمارة ف شعر نحوه بالميل والعطف في الحال ،
بخلاف ما كان يشعر به نحو مبروكة . وسأله هل هو متأكد
مما رآه أمام الباب ؟ . فأكد له سمارة أنه رأى عقب سيجارة !

من يعلم ! ربما كانت مبروكة تدخن سراً وتخفى ذلك
عن جدّه ! ولكن لا .. إنه لا يعتقد ذلك ! لا بدّ أن
يكون هناك تفسير آخر !

كانت غرفة عارف متسعة ، بها سرير ، ودولاب قديم ،
ومائدة عليها مصباح وشمعة وعلبة كبريت ، وطشت وإبريق
مملوء بالماء لغسيل الوجه ، ونافذة تطل على حوش المنزل .

أطل عارف من النافذة .. هذا هو البحر يلوح أمامه
من بعيد بزرقتة ، وعلى يمينه تبدو « صخرة عمران » وكأنها شبح
رابض كبير غامض ! وقد هيئ له أنه شاهد شبح غربان

سوداء تحوم حول الصخرة ، ولكنه لم يتمكن من عدّها ،
وهل هي ثمانية كما ذكر جلّه ، أو أكثر أو أقل ؟ ربما
كانت تزيد أو تنقص .. إنه غير متأكد .. فقد ابتدأ
الظلام يقترب .

أضاء المصباح والشمعة فسطع النور ، فرأى القط
مرجان وهو يتمدد على السرير . قفز القط فجأة وتسلك إلى
باب صغير مقفل ، وأخذ يموء ! .

وكانت من عادة عارف أن يتحدث مع مرجان ، وكان
مرجان يفهمه جيداً ، ويناغيه ويلاغيه ، وكأنه يستجيب
إلى حديثه !

قال عارف لمرجان : ماذا اكتشفت يا مرجان ؟ فثران ؟ .
فأخذ مرجان يخربش في الباب بمخالبه وكأنه يقول لعارف :
افتح هذا الباب من فضلك !

لم يكن هذا الباب الصغير مقفلاً بالمفتاح ، ولكن عارف
وجد صعوبة كبيرة في فتحه ، إذ كان يبدو أنه لم يفتح منذ
عشرات السنين !

وجد عارف أمامه فراغاً يشبه غرفة صغيرة جداً ، كما
رأى ضوءاً ينبعث من تحت عقب باب في حائطه مقابل !

وكانت مفاجأة سارة عندما فتح هذا الباب فجأة ، وأطلت منه
رأس عالية !

صاح الاثنان : والآن يمكننا أن نتراور ، ولا حاجة لنا
باستعمال الطريقة الخارجية . . . بعيداً عن أعين مبروكة !

كانت غرفة ضيقة تشبه الدولاب الكبير ، وأرضيتها
خشبية ، بخلاف باقي الحجرات فأرضياتها بلاطية ، ربما كانت
تستعمل لحفظ الملابس في قديم الزمان . أو من يعلم ؟ ربما كان
لها استعمال آخر ! .

• • •



ثروة قبل النوم



عالية

همست عالية في أذن
أخيها وكانا يهبطان السلم
الضيق المظلم : ما رأيك في
مبروكة ؟ إنها كاذبة ! لقد
رأيت بنفسى عقب السيجارة
وكانت ذات طرف مذهب !
فأجابها عارف : وهذا يعنى
أن سمارة كان صادقاً ! . .

دخلوا حجرة الطعام ،

وجلست عالية على يمين جدّها عمران ، وعارف على يساره ،
وكان الثلاثة يتبادلون الحديث أثناء الطعام ، ويصمتون كلما
دخلت عليهم مبروكة !

وكانت مبروكة تدخل الحجرة فجأة بسبب وبدون
سبب ، وبدون استئذان ، مما دعاها إلى الشك في تصرفاتها ،
وأنها تتجسس وتتصنت إلى الحديث ! ولذلك ما إن فرغوا
من العشاء حتى اصططحبها عمران إلى حجرة المكتبة وأغلق بابها !

كان عارف وعالية ينظران إلى الأرفف العديدة ، ويتطلعان
بإعجاب إلى آلاف الكتب القديمة المصفوفة عليها باعتناء زائد ،
ونظام جميل .

وكانا يتعجبان ، هل قرأ جدّها كل هذا العدد الضخم
من المجلدات ؟ ولم لا ؟ إنه رجل عجوز ووحيد ، ومثقف .
ولديه متسع من الوقت للقراءة .

جلسوا صامتين إلى أن بدأ الجدّ الحديث وهو يبتسم :
والآن يمكننا أن نتكلم بحرية ! فأجابه عارف ! نعم . وقد آن
الأوان لأن تبرّ لنا بوعدك ! . فابتسم عمران وهو يتصنّع
الدهشة : وعد ! . . أى وعد . . فقالت عالية باهتمام :
اللغز الغامض الصغير ! ألم تعدنا بأن نساعدك على
حلّه ؟ . .

صمت عمران لفترة قصيرة ، كان عارف وعالية يفكران
خلالها : هل ترى هناك علاقة بين هذا اللغز المبهم . . وبين
أعقاب السجائر المذهبة ؟ أو بالحجرة الصغيرة التي
اكتشفها ؟ أو بمبروكة الغامضة ؟ أو بالغربان السوداء
وصخرة عمران ؟ أو بأى شيء جديد آخر قد ينبجلى
فيها بعد ؟ . .

وأخيراً خرج عمران عن صمته وقال : كانت مبروكة ضمن أسباب سفرى إلى القاهرة ، بجانب شوقى إلى رؤيتكم طبعاً ! فقد أردت أن أتخلص من عشرتها المملة الثقيلة بعض الوقت . ولما أخبرتها بعزمى على السفر وجدت منها ترحيباً كبيراً ! ! !

فسألته عالية وهى تتعجب : ولماذا هى ترحب بغيابك ؟ فأجابها عمران : هناك سبب واحد . . هو رغبتها فى إبعادى عن المنزل ! . . وهذا موضوع سيأتى الكلام عنه فيما بعد ! . . ثم أضاف قائلاً : إن مبروكة كانت لا تتوقع رجوعى من القاهرة بهذه السرعة ، ولذلك فهى لم ترحب بوصولى المفاجئ ، خاصة أننى كنت أصطحبكما معى ! . . وهو ما لم تكن تنتظره ! . .

فقالت له عالية : وإذا كانت هى كذلك غريبة الأطوار ، وأنت لا تطيقها ، فلماذا لا تستبدلها بغيرها ؟ . . فأجابها عمران : لقد تعودت على أفعالها فأصبحت لا أهتم بها ، وإنى أتجملها على مضض ، فليس من السهل العثور فى هذه الناحية النائية على مثلها . فهى تقوم على شئون المنزل بأكمله من طهى ومسح وكنس . ولا تنسى أيضاً أننى كهل فى الثمانين

يصعب تلبية طلباته . . . وإرضاء نزواته ! ! !

قال عارف فجأة : ولكن ما علاقة كل هذا باللغز الغامض ! . .

وهنا نهض عمران من مقعده بصعوبة ، لأنه كان يشكو من الروماتيزم فى ساقيه ، واتجه نحو رفّ معين يتوسط المكتبة ونظر إليه متفحصاً ! . . ولكنه ما كاد يصل إلى الرف ويمد يده ليتناول كتاباً ، حتى انفتح باب المكتبة فجأة ، ودخلت مبروكة على غير انتظار ! ! !

قالت مبروكة وهى تنظر إلى عمران : ألا تظن ياسى عمران أن الوقت متأخر عليهما وحن ميعاد النوم ! ! . وخاصة بعد رحلة اليوم الشاقة الطويلة من القاهرة ! . .

صعد عارف وعالية السلم الضيق المظلم وهما يكادان ينفجران من الغيظ والغضب . . . ومبروكة تتبعهما ككلب الحراسة الأمين !

يا لحظهما العاثر ! . . كانا على وشك معرفة اللغز من جدهما ، لولا دخول مبروكة المفاجئ الذى أفسد كل شيء . هذه اللعينة مبروكة . . إنها تظهر دائماً فى غير

الوقت المناسب ! . .

دخل كل منهما إلى غرفته ، وأقفل بابه من الداخل بالفتاح !

حاولت مبروكة أن تفتح باب عارف ، ولكنها وجدته مغلقاً . وعندئذ سمع صوتها الرفيع وهي تقول : لا تقفل الباب بالفتاح . . إذ ما العمل لو شب حريق ! والفتور الساعة التاسعة صباحاً ! . .

رأى عارف أن يتحدث إلى عالية ، ففتح باب الغرفة الصغيرة المسروقة لينادي عليها ، ولكنه كاد يصطدم بها ، إذ خطر لها نفس الشيء ، وكأنهما كانا على موعد ! . .

دعا عارف أخته لدخول غرفته ، بعد أن كان قد استعد لمفاجآت مبروكة . . وأقفل الباب ! دخلت عالية غرفته وجلست على السرير ثم قالت له : كان جدو على وشك أن يروح لنا باللغز ! فأجابها : هذا صحيح . . ولكن هل لاحظت شيئاً ؟ . فقالت : نعم . . عند ما قام جدو وسار حتى وصل إلى المكتبة ، ثم توقف فجأة عندما ظهرت الشيطانة مبروكة !

وبعد تفكير قصير قال لها : هل تظنين أن لهذه المكتبة

علاقة باللغز ؟ . فأجابته على الفور : هذا ليس ببعيد . . بل محتمل جداً ! . .

كانت عالية تتمدد على السرير ، في حين جلس عارف القرفصاء على البساط ، ومكثا هكذا ينظران إلى بعضهما في سكون الليل !

وعلى حين فجأة قفزت عالية وهي تهتف : إني أسمع صوتاً غريباً ! فهمس لها عارف وهو يطمئنها : الأصوات الغريبة كثيرة هنا ! ربما كانت أصوات أمواج البحر . . أو رياح الصحراء . . أو غربان تعشش في سقف الحجرة . قالت عالية بعد أن هدأت : لو كان عامر معنا الآن لهُوّن علينا الأمر . . ولاشترك معنا في إجلاء هذه الخفايا . ما رأيك في أن نكتب له خطاباً ؟ . . فبرقت عينا عارف وقال موافقاً : هذه فكرة جميلة ، وسنشترك معاً في كتابته ونقص عليه كل شيء !

• • •

سطر عارف وعالية خطاباً لأخيها عامر ذكرا له فيه ما صادفاه بالتفصيل منذ مغادرتهم القاهرة حتى هذه اللحظة . ووصفا له فيه المنزل العتيق الذي يشبه القلعة ، وخاصة المكتبة

الفريدة ، وعثورهما على الغرفة المسحورة .

وتحدثا عن مبروكة وغرابة أطوارها ، وسمارة المسكين اللطيف
الوديع . وعن اكتشافهما لعقب السيجارة المذهب ، ورييتهما
في مصدرها . . . مع أن مَنْ في المنزل لا يدخنون وهو الأمر
الذي يدعو إلى شكهما في وجود زائر غريب في المنزل بدون
علم جدّهما !

كما ذكرا له ما حدث في المكتبة مع جدّهما ، وفي
ترجيحهما أن لرف الكتب علاقة مباشرة باللغز . وكذلك
خرافة الغربان الثمانية السوداء التي تحوم حول صخرة عمران ،
واعتقادهما بأن في الأمر سرا يخفيه عنهما جدّهما !

وأخيراً طلبا منه أن يشترك معهما في التفكير في حل
هذه الألغاز ، إلى حين وصوله إلى مطروح ، وقال له إنه
إذا توصل إلى حلّها في هذه الأيام القلائل ، كان بلا شك
أذكى منهما ، لأنهما لم يتمكنّا من حلّها حتى الآن ! ! . . .

° ° °

الكهف



سمارة

استيقظ عارف مبكراً ،
وصبّ قليلاً من الماء في
الطشت ، وغسل وجهه
وارتدى ملابسه ، ثم دخل
غرفة عالية ليوقظها عن طريق
الغرفة الصغيرة المسروقة .

ولكنه أصيب بخيبة أمل
عندما وجد أنها استيقظت قبله
وارتدت ملابسه ، وأن لها

مدة وهي في انتظاره ، وكان يعتقد أنه أنشط منها .

أخبرته عالية أنها شاهدت من نافذتها مبنى قديماً ،
يشبه الإسطبل أو الزريبة ، وأنها تريد أن تستكشفه ! . .
فقال لها : بل نذهب الآن إلى البحر لتريض قليلاً .

تسلّلا من الغرفة على أطراف أصابعهما ، فقد سمعا
صوت مبروكة صادراً في بئر السلم ، ولثلا يزعجا جدّهما
في هذا الوقت المبكر .

قالت عالية : فلنذهب إلى الجانب الآخر من الطريقة ،
لعلنا نجد مخرجاً بعيداً عن غرف النوم .

سارا في الطريقة إلى أن وجدا في نهايتها سلماً ضيقاً جداً
هبطا منه ، فإذا بهما في المطبخ ، ثم خرجا منه إلى حوش
واسع ، وهناك صادفا سمارة وكان يسير نحوهما .

حياهما سمارة تحية الصباح ، فردّا له التحية ، وسألاه
عن طريق البحر . فقال لهما سمارة : أنتما ذاهبان إلى البحر
الآن ! ! . فأجابه عارف : نعم . فاليوم حار ، ونريد أن
نرجع قبل ميعاد الإفطار في الساعة التاسعة . فدلّكه سمارة وهو
يشير إلى الطريق : من هنا إلى اليسار . . وهناك طريق آخر
يتفرّع إلى اليمين . . إياك أن تسير فيه ! ! . احذر فهو يوصل
إلى الصخرة ! صخرة عمران ! لا تقترب منها ! . .

كانت عالية تستمع إلى الحديث وهي تعجب في نفسها ،
هل هناك سرّ غامض يحيط بهذه الصخرة أيضاً ؟ أكان ينقصهما
سر جديد ! ألا يكفيهما ما في داخل المنزل من أسرار ! . .

كانت عالية ترمق سمارة وهو يختلس النظرات من وقت
إلى آخر ناحية الحظيرة . ففاجأته بالسؤال : قل لي يا سمارة ،

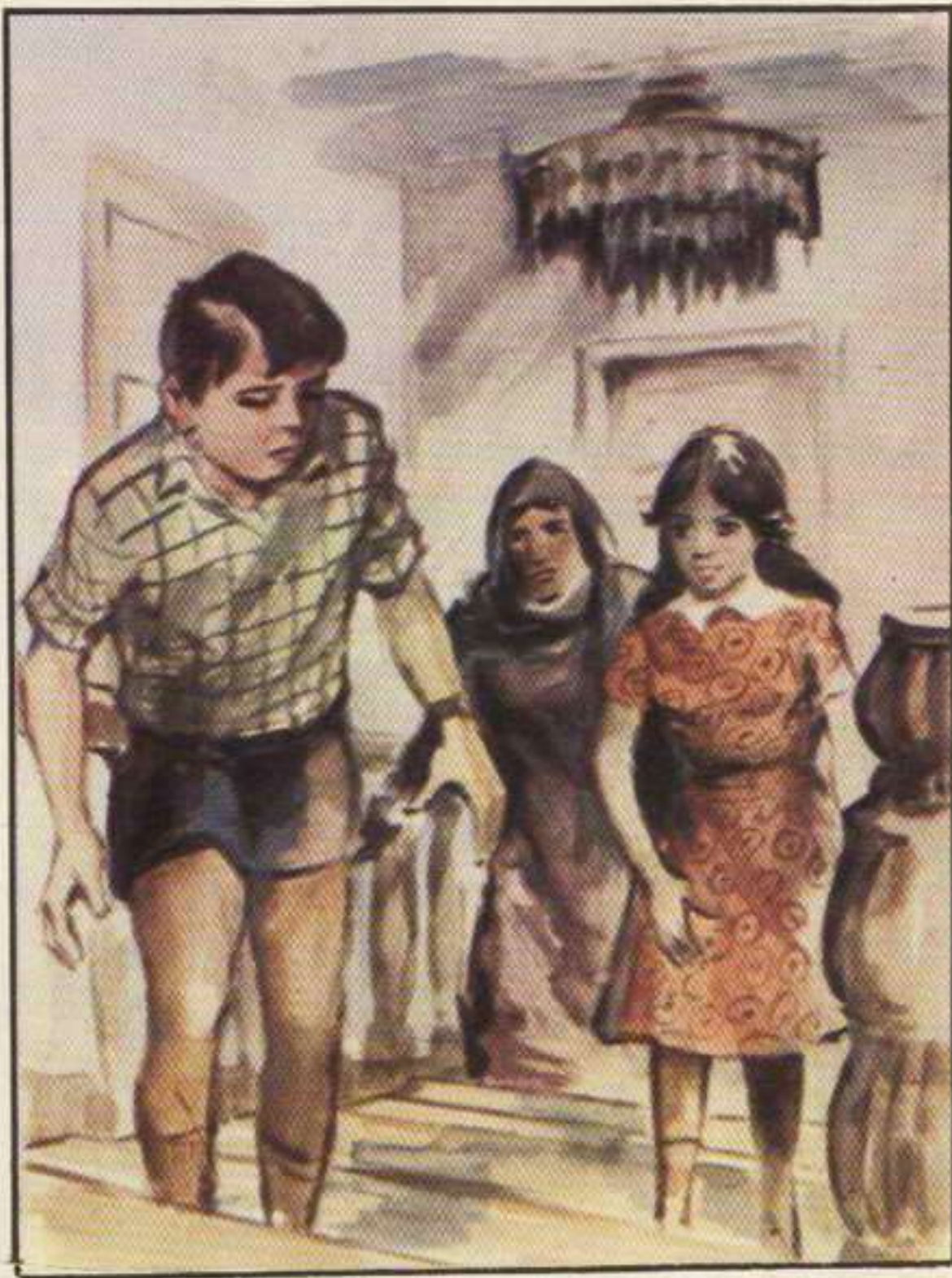
ألا توجد حيوانات في هذه الحظيرة ؟ . فأجابها : لا .
لا توجد . . إنها حظيرة مهجورة ! . . فقالت له : هل أنت
متأكد ؟ حتى ولا حيوان واحد ! فأجابها بعد تردد شديد
لا . . لا يوجد ! . .

ضحكت عالية وقالت له : حسناً يا سمارة . . ربما
عاودت سؤالك في فرصة أخرى ! على كل حال نحن
أصدقاءك ، ونؤيّدك فيما قلته بالأمس . صحيح أنه كان
عقب سيجارة ، وليس ورقة كما ادّعت مبروكة ! لقد
رأيتك بنفسى وأنا متأكدة ! . .

تركاه وسارا في طريقهما إلى شاطئ البحر ، وبعد قليل
سمعا صوت سمارة وهو يصيح عليهما : احذرا الصخرة ! . .
اتبعنا الطريق الأيسر ! . .

أما سمارة فقد تلفّت يمنة و يسرة ، وعندما رأى نفسه وحيداً
بلا رقيب ، استدار واتخذ طريقه نحو الحظيرة المهجورة ! ! . .
* * *

وصل عارف وعالية إلى مفترق طريقين ، يتجه أحدهما
يميناً ، والآخر يساراً . وهنا وقف الاثنان يفكران . فسألته
عالية : فيم تفكر يا عارف ؟ فضحك عارف وأجابها :



صعدا السلم وهما يكادان ينفجران من الغيظ والغضب . . . و « مبروكة »
تتبعهما ككلب الحراسة الأمين

في نفس الشيء الذي تفكرين فيه أنت ! ! . .
كان الاثنان يفكران في اتخاذ الطريق الأيمن ، ضاربين
بتحذير سمارة عرض الحائط ! . . كانا يحلمان بالمغامرة ،
غير آبهين بما قد يتعرضان له من خطر !

فالطريق الأيمن يؤدي إلى الصخرة ، وهما يتشوقان لرؤيتها ،
يشدهم إليها ما يحيط بها من أسرار وخرافات ! . ولكن عالية
قالت : فلنؤجل هذه الزيارة إلى وقت آخر ، لأن جدّو لو علم
بذلك ربما غضب منا . فأجابها عارف : لك حق . . فلنذهب
الآن إلى البحر ، ربما شاهدنا الصخور والكهوف التي حكي
عنها جدّو ! .

وصلا إلى الشاطئ ، وكانت الشمس ساطعة والنسيم
عليلاً والبحر هادئاً ، والسكون يخيم على المكان . فلا أحد
هناك في هذا الوقت المبكر من الصباح .

خلع عارف حذاءه وجرى نحو الماء ، وتبعته عالية ، وأخذوا
يلعبان في الماء الضحل وسط الأمواج الخفيفة التي تتكسر
على الشاطئ الرملي الجميل .

كانا يشعران بالسعادة والحرية ، والشاطئ يخلو من
الناس ، وكأنه خاص بهما ، لهما وحدهما .

توقفت عالية عن الجرى ، وأشارت إلى شاطئ بعيد :
انظر يا عارف ! ألا ترى شيئاً هناك ؟ . فأجابها : أين ؟ آه .
هذا شاطئ صخري ! . فقالت له عالية بلهجة العتاب :
طبعاً أنا أعرف أنه شاطئ صخري ! ولكن ألم تلاحظ شيئاً
عجيباً ؟ فأجابها بالنفي . فقالت له : إن تعاريج هذا الشاطئ
تشبه وجه إنسان ! ! . ثم ضحكت وقالت : إنه يشبه وجه
مبروكة تماماً بأنفها الطويل ! . نظر عارف بدهشة إلى
الشاطئ وقال : أين ؟ إني لا أرى شيئاً ! .

أشارت له بيدها نحو الشاطئ وقالت : هذا البروز
داخل البحر هو أنف مبروكة الطويل . . . وهذا التجويف
المفتوح هو فمها الواسع . . وهذا المنحنى القريب هو ذقنها
المدبب ! . . فما رأيك ؟ .

اندهش عارف من دقة ملاحظة أخته وقال لها : هذا
صحيح يا عالية . . إني أراه الآن واضحاً ! . .

وبعد صمت قصير قالت له : أهذا كل ما ترى ؟ .
فأجابها : وهل هناك غير ذلك ؟ . فقالت له : ألا ترى هذا
الكهف المفتوح هناك وسط التجويف ؟ . . أى داخل
فم مبروكة ! !

دقق عارف بنظره ، إنه يرى فجوة واسعة . . هذا صحيح . .
من الجائز جداً أن تكون كهفاً !
ذهبا معاً يستطلعان الفجوة ، فوجدوا أنها مدخل كهف
كبير يبدو أنه مهجور !

دخلوا الكهف المظلم بحذر شديد ، وكان عارف قد
استعد لمثل هذا الاحتمال فأحضر معه علبة الكبريت . أشعل
منها عوداً فأضاء الكهف بنور خافت ، وتقدّما قليلاً قليلاً ،
ويخطوات حذرة بطيئة . ولكنهما وقفا فجأة . فقد شاهدا
في ركن من أركان الكهف شيئاً لم يتبيّناه لأول وهلة . رآا
اقتراباً منه اندهشا مما رأياه ! فقد كان : بطانية ووسادة ،
وفنجان شاي مكسور . . وبجانب الفنجان . . عقب
سيجارة ! ! !

صاحت عالية : انظر ! . . إنه عقب سيجارة !
فأجابها عارف وهو مأخوذ : وطرفها مذهب ! ! !
خرجوا من الكهف مهرولين ، وهما يشعران بالخوف
والرهبة ، وكأن عيوناً كثيرة تتبعهما ، وتحلق فيهما !
قرّرا أن يعودا فوراً إلى المنزل ، حيث كانت الساعة
الثامنة والنصف ، وقبل ميعاد تناول طعام الإفطار .

قال عارف لأخته : أنا في حيرة ! فكل ما يحيط بنا
هنا غريب مريب . ولكن . . تُرى هل توجد علاقة بين كل
هذه الأشياء وبين اللغز الغامض الذي يخفيه جدّو ؟ . فأجابته
عالية : لا أعلم . . ربما ! . . لا بد أن نعرف منه هذا السر
وبأسرع ما يمكن . . اليوم ! .

دخلوا المنزل وذهبا رأساً إلى حجرة المائدة وجلسا ، وكانت
الساعة التاسعة إلا خمس دقائق ! حينما جاءت مبروكة
وسألتهما أين كانا ؟ . فأجابها بأنهما كانا يتترهان على شاطئ
البحر . فقالت لهما : وهل أذن لكما جدّكما في الذهاب
إلى البحر بمفردكما ، إذ ربما غضب لذلك ! . فأجابته عالية
وهي تبسم : لا ! . ولكنني متأكدة أن جدّو لا يمانع في ذلك .
وعلى كل حال فنحن أتينا هنا للترهة لا للحبس في المنزل !
ولكن أين هو جدّو الآن ؟ . فقالت مبروكة : إنه يشعر اليوم
بالتعب من آثار رحلة الأمس الطويلة ، وإنه سوف يتناول
إفطاره في غرفته !

حزنا لذلك كثيراً . وما إن خرجت مبروكة من الغرفة
حتى قالت عالية لأخيها : مسكين جدّو ! يجب أن نسأل عليه
ونطمئن على صحته .

كانت أمامهما الآن مشكلة صغيرة ! وهي كيف يمضيان هذا الصباح ؟ هل يذهبان إلى الصخرة ؟ إنها فكرة جميلة ، وإن كانت فيها بعض المخاطرة !

استقر رأيهما أن يمضيا فترة الصباح في المكتبة ، ففيها الكثير من الكتب المفيدة المصورة التي تستحق المطالعة .

ولكن بعد خمس دقائق من جلوسهما وقعت مفاجأة سارة ! إذ دخل جدّهما عليهما في المكتبة . فقفزا فرحين مهلّلين ، وتعلّقا به يسألانه عن صحته . فأجابهما بأن صحته في تحسّن كبير ، وسألهما عما يرغبان في عمله الآن ؟ ! .. فنظرا إلى بعضها نظرة ذات معنى ، وبعد تردد قال عارف : أنت تعرف ماذا نريد يا جدّو ! . فأجابه الجدّ وهو يتسم ويتصنع البراءة : ماذا ! أنا لا أعرف ! .. آه .. هل تقصد أن نكمل حديث الأمس ؟ . فاندفع عارف في الكلام بسرعة زائدة : نعم .. نعم .. ألا تذكر ؟ .. عندما دخلت مبروكة فجأة ! كنت ستقول لنا عن اللغز الغامض ! .. وقالت عالية وكأنها تستعجله في الحديث : قل لنا على اللغز بسرعة ! وقبل أن تفاجئنا مبروكة ثانية ! .

كان الجدّ على وشك الكلام ، ولكن قبل أن ينطق



أخذ بقلب في صفحات الكتاب حتى عثر على ما يبحث عنه وكان موضوعاً بين صفحتي ٧٥ ، ٧٦

بحرف واحد ، فُتح الباب ودخلت مبروكة !! فصمت
عمران ، وظهر الغضب واليأس على وجهيهما .

قالت مبروكة وهي توجه حديثها إليهما : جدكما مريض ،
ويحسن بكما ألا ترهقاه بالكلام الكثير !

وهنا ثار عمران عليها وصاح فيها : أنا لست مريضاً ،
وهذا ليس شأنك ! وأنا سعيد بأحفادي معي هنا .

فوجئت مبروكة بثورة عمران ، فهي لم تتعود منه هذا
الانفعال والشدة ، فقالت له : كما تريد . وماذا يمكنني
الآن أن أفعله ؟ . فأجابها محتداً : إركبي الأوتوبيس إلى مطروح
واشترى لي الصحف والمجلات ! . . .

انزعجت مبروكة لأنها أدركت أن في الأمر سرّاً ، وأن
عمران يعمل على التخلص منها . فقالت له إن لديها عملاً
كثيراً في المنزل ، ويمكنه أن يبعث سمارة بدلا منها ! فأجابها
بأنه يحتاج إلى سمارة في عمل آخر هام سيكلفه به ! .

لم تيأس مبروكة ! بل نظرت إلى عارف وعالية وقالت لهما
بابتسامة خبيثة : ما رأيكما في أن نذهب معاً ، لتفترجا معي
على البلدة الجميلة ، وسنمر على مكتب البريد إذا كان
معكما خطاب ترسلانه من هناك !! فالיום جميل وحرام

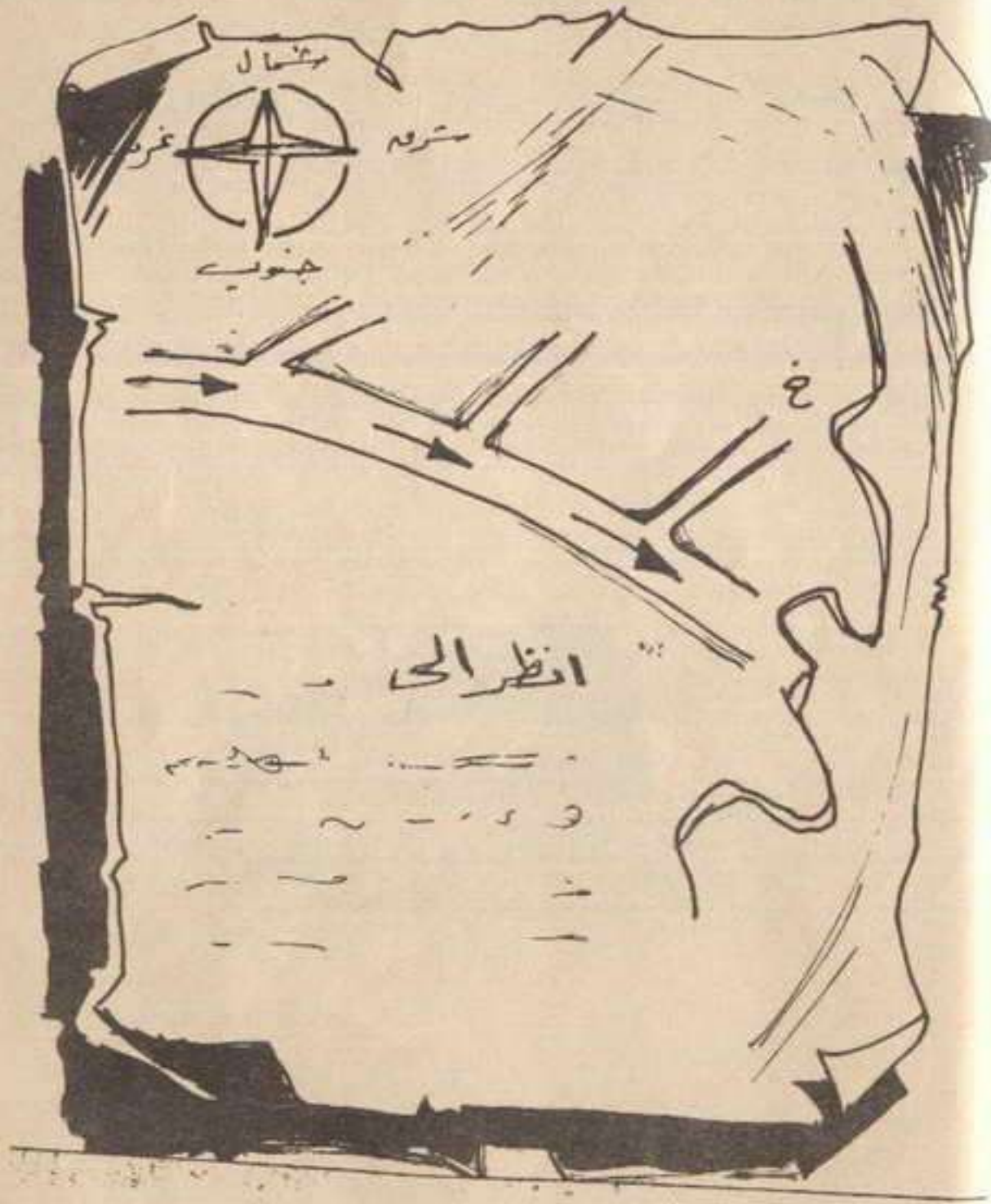
أن تقضياه داخل أربعة جدران ! . .

فقال لها عمران بهدوء : بل سيمكثان معي . أنا جئت
بهما من القاهرة ليمكثا معي وليس معك ! ! لقد تمتعا باليوم
الجميل على شاطئ البحر في الصباح الباكر قبل الإفطار
كما قالوا لي ، وهو أنسب وقت للترىض !

لم تجد مبروكة بداً من الانسحاب من الغرفة وهي تشعر
بنحية شديدة . أما عارف وعالية فكانا يشعران بالراحة والسرور
والغبطة .

ضحكت عالية وسألت جدّها : ما هو العمل الذي
ستكلف به سمارة ؟ وهل هو يخصنا ؟ . فأجابها باسمّاً : نعم .
هو كذلك ، ولكنني لن أخبركما به الآن فهو مفاجأة ،
وستعرفانه في وقته على كل حال .

أغلق عمران الباب بالمفتاح ، ثم نهض وتوجّه نحو الرفّ
الذي وقف أمامه أمس . ومدّ يده وأخرج كتاباً صغيراً هو
رواية جزيرة الكثر ، وكان مدسوساً وسط كتابين كبيرين !
ثم جلس إلى المائدة ، على حين وقف عارف عن يمينه ،
وعالية عن يساره . ثم أخذ يقلّب في صفحات الكتاب حتى
عثر على ما يبحث عنه ، وكان موضوعاً بين صفحتي ٧٥ ، ٧٦



من الكتاب .

وضع هذا الشيء أمامه على المائدة ، وكان ورقة مطوية
تبدو قديمة جداً اصفرَ لونها بمرور الزمن !
وكان ما رأياه هو خريطة رسمت عليها بعض الخطوط
والتعاريج والحروف والكلمات .



الخريطة العجيبة

بعد أن فضَّ عمران
الورقة المطوية ، تمهل قليلا
وقال لهما : أولاً سأقص
عليكما كيف اكتشفت هذه
الورقة . كان ذلك بمحض
الصدفة ، وكان يحتمل ألا
أعثر عليها أبداً ! .. ثم
رفع الورقة بين يديه ،
وتسمَّرت عينا عارف وعالية
بها ، لا يرخيان عنها البصر .



مبروكة

استطرد في الحديث وهو يشير إلى المكتبة وآلاف الكتب
تتراص عليها : كان العثور على هذه الورقة الصغيرة هنا
كالعثور على دبوس وسط كومة من القش . فسألته عاليه
وهي مندهشة : إذن كيف عثرت عليها ؟ .
قام عمران واتجه نحو الرف ، وأشار إلى مكان معين
وقال : لفت نظري أن كتاب جزيرة الكثر مدسوس هنا بين

الجزء الأول والجزء الثاني من هذين المجلدين الضخمين .
وأنا لا أذكر أني رأيته من قبل ! ولم أضعه في هذا المكان !
فقاطعه عارف : ومن وضعه إذن ؟ . فأجابته : هذا سؤال
مهم ! . وقالت عالية : لا بد أن أحداً غيرك وضعه ! فقال
عمران : هذا واضح . . ولكن من ؟؟ . أنا لا أعتقد أن
لمبروكة أو سمارة يدا في ذلك ! . فسألته عالية : وهل
سألتهما ؟ . فأجابها : لا طبعاً ! وهل كنت تسألينهما أنت
لو كنت في مكاني ؟ . فأجابته فوراً : لا . . لأنهما لو كانا
يعلمان بوجودهما فلا داعي للسؤال ، وإذا كانا يجهلان
فلا داعي للفت نظرهما .

عندما فضَّ عمران الورقة المطوية ووضعها على المائدة ،
كانت عيون عارف وعالية تحلق فيها باهتمام زائد ، ويتعجبان
لما خطَّ عليها بالقلم الرصاص !

كان عمران ينظر إلى الخريطة وهو صامت ، إلى أن
ابتسم وقال : ما رأيكما في هذه الخريطة ؟ فبرقت عينا
عارف وقال : إني أعتقد أنها ناقصة ، ومع ذلك فهي
محيِّرة ومشوقة ! . وأضافت عالية : إني أرى أن الخريطة
ترشد إلى مكان ما ! فقال عمران : ولكنها غير واضحة

صحيح هي ترشدنا إلى مكان ما ! ولكن إلى أين ؟ ..
ولماذا ؟؟ ..

كانت عالية تتفحص الخريطة بدقة ، وسألت جدّها :
وما معنى حرف (خ) المكتوب في نهاية الطريق الثالث على
اليسار ؟ . فأجابها عمران بلهجة الشكّ : ربما كانت تعني
« خطر » ، أي أنها تحذّر من سلوك هذا الطريق ! ولكن
عالية قالت : وربما كانت تعني « خندق » أو « خزانة » ،
ولكن المهم ماذا تعني الكلمات الأخرى ، إنها غير مفهومة ! !
قال عمران : هذا هو بيت القصيد .. تلاحظان أولاً
أن الكلمات مكتوبة بالقلم الرصاص ، وثانياً أن كاتبها حاول
مسحها ، ولكنه لسبب خارج عن إرادته لم يتمكن من مسحها
كلها ، فبقيت ظاهرة منها جملة (انظر إلى) ، ولا يمكننا
الآن أن نعرف لماذا هو اضطر إلى ذلك ، ولكن ربما لأن
شخصاً ما فاجأه في أثناء كتابتها ..

وهنا قاطعته عالية قائلة : هذا جائز . وعندئذ اضطر
إلى إخفائها في كتاب كان في جيبه وهو جزيرة الكثر ، ووضع
الكتاب في أقرب مكان وبسرعة زائدة ! . فقال لها عمران :
كل هذا جائز ! ولكن ألم تلاحظا الأثر الغائر الذي حفره القلم

الرصاص الجاف في الخريطة ! ! ..

أوقد عمران المصباح ، ورفع الخريطة بين أصابعه ،
ووضعها أمام النور ، فظهرت بعض الآثار الغائرة واضحة
جليّة ، وظهر البعض الآخر غير واضح لا يقرأ ! ! ..

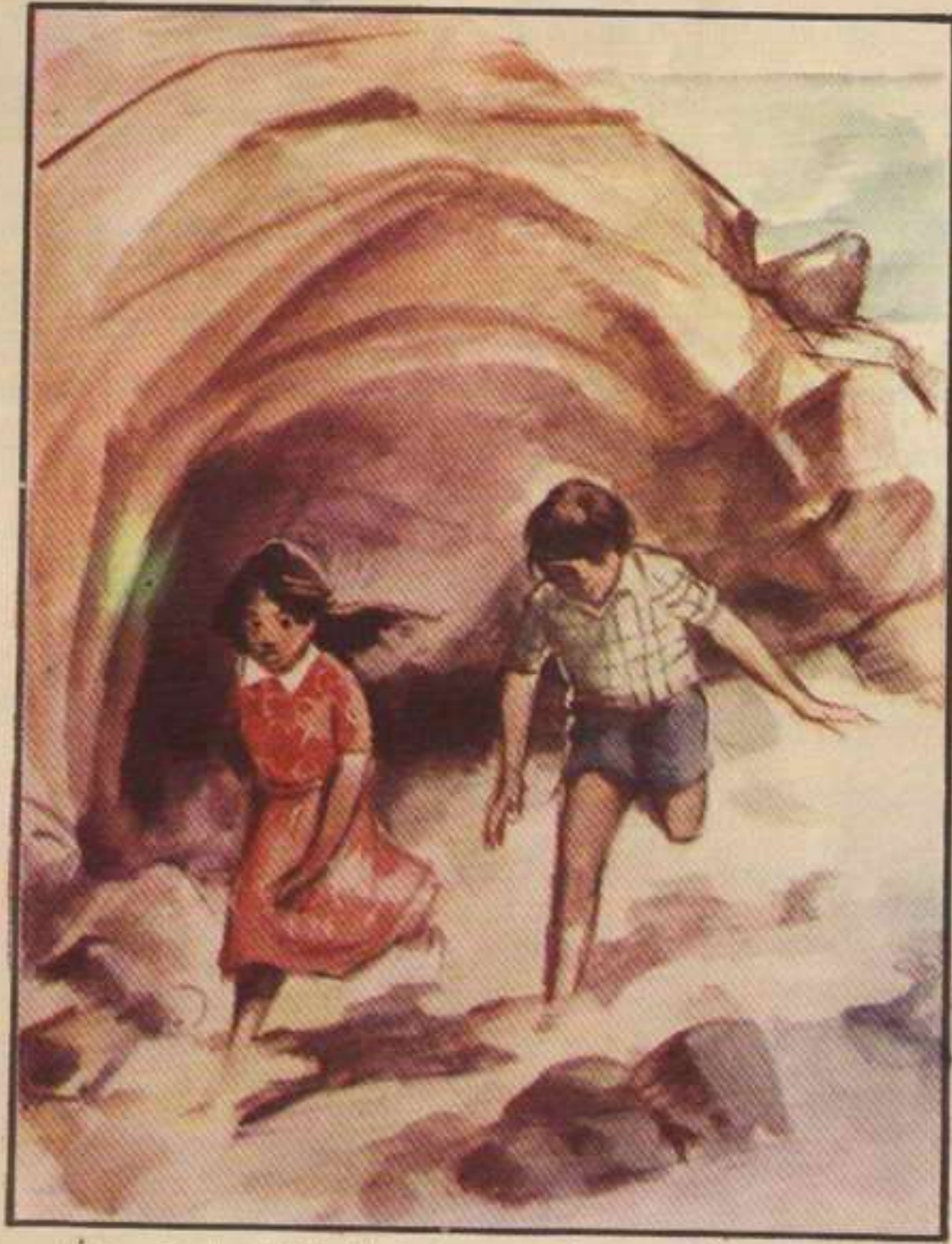
قال لهما عمران بعد أن طوى الخريطة : والآن هل
يمكننا حل رموزها ؟ هذه هي مهمتكما ! فقال له عارف
وهو غير مصدق : أتعني أنه يمكننا أن ندرس الخريطة وأن
نحتفظ بها ؟ . فهز عمران رأسه علامة « الإيجاب » . فصاحت
عالية من الفرحة قائلة : سنحافظ عليها نحافظتنا على أرواحنا !
ثم أضافت في خبث : وبعيداً عن أعين مبروكة وفضولها ! !
توجّه عمران إلى الرف وأخرج كتاب « جزيرة الكثر » ،
 ووضع الخريطة في مكانها كما كانت .. بين صفحتي
٧٥ و ٧٦ . وقال لهما : أنتما تعرفان الآن مكانها ، ولكن
انتها دائماً فرصة غياب مبروكة لدراستها !

ظل عارف وعالية يختلسان النظرات مع بعضهما ، إلى
أن قالت عالية لجدّها : ونحن أيضاً لدينا بعض الألغاز
والأسرار لا نريد أن نحتفظ بها وحدنا ! ! فقال لهما عمران :
صحيح ! هات ما عندك ! ! ..

بدأت عالية في روايتها فقالت : نحن نشعر بأنه يوجد شخص غريب في المنزل ! . فاندھش عمران من ذلك الخبر المفاجئ وسألها : شخص غريب ! ومن يكون ؟ وما هو الدليل على وجوده ؟ . فاستطردت عالية قائلة : لقد اكتشفنا عقب سيجارة في المنزل ! .

أخذ عمران يفكر بصوت عال وهو يحدث نفسه : هذا غريب ! فلا أحد يدخن هنا ! . ثم وجه حديثه إليهما قائلاً : ولكن هذا ليس بدليل على وجود شخص غريب بالمنزل في هذه اللحظة ! ثم صمت قليلاً وقال : ربما كان يوجد شخص منذ أيام مضت ! الآن فقط فهمت ! لا غرابة في أن مبروكة كانت ترحب بسفري إلى القاهرة ، كما أزعجها قدومي المفاجئ ! ربما هي قد أدخلت زائراً غريباً في أثناء غيابي ! وهي تعلم أني أعارض في ذلك ! . هل هذا هو كل ما عندكما من أسرار ؟ فقال عارف : تقول عالية أنها تسمع أصواتاً غريبة في سقف الحجرة ، وفي كل مكان بالمنزل ؟

فضحك عمران طويلاً وقال لهما : وأنا أيضاً أسمع هذه الأصوات ! فالمنزل قديم متهالك . ثم صمت قليلاً وظهرت



خرجوا من الكهف مهولين ، وهما يشعان بالخوف والرهبة ، وكان عبونا كثيرة تتبعهما .

على وجهه إمارات الحزن والأسى ، وقال وهو يتنهد :
المنزل العجوز .. كالرجل العجوز ! كله شروخ ..
وتأوهات !! .

ثم سأله عالية فجأة : هل هناك حيوانات بالمنزل
يا جدو ؟ فأجابها : القط مرجان فقط ! والبيغاء زاهية ! .
فقالت له : أقصد في الحظيرة ! . فأجابها : لا ، فالحظيرة
مهجورة منذ زمن طويل .. ولم تسألين ؟ فقالت له : رأيت
في الصباح - وكنت أطلّ من نافذتي - سمارة وهو يدخل
الحظيرة ، ثم يخرج منها بعد فترة ، ولما سأله ارتبك وقال
بعد تردد : لا لا توجد حيوانات ! .. فأجابها عمران وهو
يهرأ كتافه بلا اكتراث : لا أعتقد أن سمارة كذاب ! وعلى
كل حال إذا كانت هناك حيوانات بالمنزل فيسهل علينا العثور
عليها .. هل هذه هي كل الأسرار ! ..

صمتا ولم يجيبا . هل يخبران جدّهما بقصة الكهف ؟
ربما اعتقد أن في قصتهما مبالغة كبيرة ! ولكن سوف يؤيد
كلامهما أن الكهف موجود ، والبطانية والوسادة والفتجان
المكسور لا تزال في مكانها . . . وكذلك عقب السيجارة
المذهّب !! إن لم يصدقهما فما عليه إلا زيارة الكهف !

خيّل إليهما أن عمران لم يهتم بهذا الكشف عندما فاتحاه به ،
فقد قال لهما : وما الغرابة في ذلك ! أنا نفسي كنت أنام
في هذه الكهوف في شباني ، لكي أصحو مبكراً في الفجر
لصيد السمك ! والكثيرون هنا ، وخاصة الصيادين ،
يبيتون في هذه الكهوف ! ..

تدخلت عالية في الحديث وقالت : ولكن هذا الكهف
يختلف عن باقي الكهوف ، لأن له علاقة مباشرة بسرنا ! فقد
عثرنا فيه على عقب سيجارة مذهب ! ! فأجابها عمران
بلا مبالاة : كثير من الناس يدخنون مثل هذه السجائر !
ولكن هل صادفكما أحد داخل الكهف ؟ . فأجابته عالية
بسرعة : لا . لأننا لم نكتشف باقي الكهف . ولم نتعمق في
داخله ، وخرجنا بسرعة فقد كنا خائفين ، وخصوصاً أنا
عندما رأيت وطواطاً كبيراً يلتصق بالسقف . ولكني لم أخبر به
عارف لكي لا يخاف مثلي ! ! ..

قال عمران : على كل حال سنضع في حسابنا مسألة
الكهف ، وعقب السيجارة المذهب ، وإن كنت أشك في أنهما
سيساعدانا في الكشف عن اللغز ! هل هناك شيء آخر ؟ ..
قالت عالية : نعم هناك أشياء صغيرة ! مثلاً : تصرفات

مبروكة الغريبة ، وهل هي كانت دائماً كذلك ؟ ..
وسمارة ! نحن نعتقد أنه يحاول مساعدتنا ولكنه يتفادانا ..
ربما خوفاً من مبروكة ! ! ..

فأجابها عمران : تصرفات مبروكة كانت دائماً شاذة
من يوم أن التحقت بخدمتي ، ولكني تعودت عليها ! أما سمارة
فهو ولد يتيم ، ومخلص ، وأمين .

وعندما انتهى بهم الحديث عند هذا الحد ، وقف عمران
وقال لهما إنه في حاجة إلى الراحة . وإنه يحسن بهما تأجيل
فك رموز الخريطة والكلمات الناقصة المسوحة بها ، لأن
مبروكة أوشكت أن تصل بالجرائد في أية لحظة . وأن يخرججا
للتنزهة والتريض ، فالجو جميل يغري على ذلك .

ثم حذرهما من صخور الشاطئ قائلاً : تفاديا للصخور ،
وخصوصاً صخرة عمران .. فهي خطيرة ! ..

الغربان السود الثمانية

غادر عارف وعالية المنزل
بنية الذهاب إلى البحر .
ولكن قبل أن يجتازا سور
المنزل ، اقترحت عليه عالية
مشاهدة الحظيرة المهجورة !
كان عارف يحلم بالسباحة
في البحر لا بالحظيرة ! ..
وبالأصداف والقواقع الملونة
الجميلة التي سيلتقطها من
الشاطئ . ولكنه لم يشأ أن يخالف أخته ، فوافق على اقتراحها
وهو يتأفف .



عارف

قالت له عالية : والآن سنتأكد إذا كان هناك
حيوان أولا ! ..

اقتربا من الحظيرة ، وكانت عبارة عند مبنى قديم متداع .
وما كادا يصلان بابها حتى سمعا مأمأة رفيعة ، وصوت سمارة
وهو يتحدث بصوت خافت ، وكأنه يحدث إنساناً : اسكتي

ياظريفة لثلاً تسمعك العفريفة !!

وقفا ساكنين بلا حراك من المباغثة وأخيراً !! لقد
عثرت عالية على ضالتها المنشودة : الحيوان الذي كانت
تعتقد بوجوده في المنزل !

قال عارف : وماذا تظنين ؟ أهو عجل ! .. فأجابته :
لا أظنه عجلاً ! فالعجل لا ينامي ! ربما كانت معزة أو خروفاً
مريضاً ، لأن المأمأة ضعيفة !

ثم جاءهم صوت سمارة ثانية وهو يقول : اعملي معروف
ياظريفة ! اسكتي واشرفي اللبن ! وإلا سأشربه أنا ...
كده عال !! ..

كانت عالية تتحرّق إلى رؤية ظريفة هذه . ولكن ربما
كان سمارة لا يرحّب بذلك ، ويريد أن يحتفظ بسرّه لنفسه !
لا بأس .. فلندع ذلك إلى فرصة أخرى .

واصل سمارة حديثه مع ظريفة فقال : والآن سأطلعك
ياظريفة على سرّ ، وإياك أن تفشيهِ لأحد ! ..

كان الإغراء شديداً يلحّ عليهما في الاستماع إلى هذا
السرّ ، إذ ربما كان يتعلق باللغز . أو بمبروكة ! ولكن
كان بين عارف وعالية « ميثاق شرف » .. وهو ألا يتصنّتا

على أسرار الغير !

ولذلك صمما على الانصراف ، وتركاً سمارة ييوج بسرّه

إلى ظريفة !

ابتعدا عن الحظيرة وهما يتعجبان لأمر سمارة وصديقه

ظريفة ..

سأل عارف أخته : من يقصد سمارة بالعفريّة

يا ترى ؟ ..

فأجابته : أظنه يقصد مبروكة ! والآن فلنرجع إلى المنزل

لدراسة الخريطة ..

وبينا هما في طريقهما إلى المنزل يتحدثان وهما يتهاديان ،

إذا برجل غريب يقبل نحوهما !

كان الرجل يبدو قوياً ، له شارب مفتول ، وفوق حاجبه

جرح كبير غائر !

حيّاهما بصوت أجش وقال : من أنتم .. ومن أين

تأتيان ؟

تبادلا النظرات في دهشة بالغة ! يا له من رجل سخيف !

قال له عارف : نحن اللذان نسألك من أنت ؟ ومن

أين أتيت ؟ فأجابه الرجل بخشونة : اسمي سلطان وأنا غريب

جئت من طنطا . ومن هو صاحب هذا المنزل ؟ . فأجابه

عارف ! عمران . . نايف عمران ، وهو جدنا . فقال سلطان :

حضرت خصيصاً لمقابلة جدكما !

كانا ينظران إليه بعين الشك ، فهما لم يشعرنا نحوه

بالإطمئنان . فقد كانت القسوة تلوح في عينيه الضيّقتين .

فقالت له عالية في تحدّ : لا يمكنك أن تقابل جدنا اليوم

فهو مريض . وقال له عارف : وماذا تريد منه ؟ . فأجابه

سلطان : إني أقصده في عمل مهمّ ! أريد شراء هذا المنزل . .

هل أنتما ذاهبان الآن إلى هناك .

وقبل أن ينطق عارف قالت له عالية : لا . بل سنذهب

إلى الصخرة ! . فاندعش عارف من قولها هذا . فما الذي

جعلها تعدل عن رأيها ؟ لقد كانت تريد من لحظة أن ترجع

إلى المنزل لتفحص الخريطة !

نظر إليهما سلطان نظرة غريبة وقال : الصخرة ! ! آه . .

ولم لا ؟ فالיום جميل . . ولكن حاذرا أن . . .

قال هذا وصمت طويلاً ، ثم تابع حديثه وقال : أتمنى

لكما يوماً سعيداً ، وأرجو أن أراكما قريباً .

استدار سلطان واتجه نحو المنزل ، وكانا يرقبانه مراقبة

دقيقة إلى أن اختفى . وعندئذ نظر عارف إلى أخته وقال لها :
لماذا عدلت عن رأيك ؟ فأجابته : كنت أظنك تريد أن
تزرور الصخرة ! ! .

رمقها عارف بنظرة عتاب وقال : بالعكس كان يهمننا أن
نرافقه إلى المنزل لنرى ماذا سيفعل ! . فابتسمت عالية في دهاء
وقالت . إني أشك في هذا الرجل ، ويجدر بنا أن نبتعد عنه ،
وأنا متأكدة أن جدو لن يقابله ، وأعتقد أننا سنضيفه إلى
قائمة بحثنا ! فأجابها عارف : ألا يكفيننا ما جمعناه من الغاز
حتى نضيف إليها لغزاً جديداً !

كانت عالية تفكر وهي في طريقها إلى الصخرة فيما قاله
سلطان . لقد قال عندما سمع منها عن الصخرة : الصخرة ! !
ولكن حاذرا أن . . . ، ثم توقف عن الكلام ! فإذا كان
هذا الرجل غريباً حقاً عن هذه المنطقة ، فكيف علم بما يدور
حول الصخرة ؟ ؟ . وماذا كان يريد أن يحذرهما منه ؟ ؟
إنها تشك كثيراً في أنه ليس غريباً ، بل هو يعرف الكثير
من الأسرار والمعلومات عن هذا المكان ! ولماذا يريد مثل
هذا الشخص أن يبتاع منزلاً قديماً كالقلعة ، وفي هذه الناحية
الصحراوية بالذات . . وهو الغريب من طنطا ! ! !

وأخيراً أبدت عالية رأيها بصراحة وقالت لعارف ! أظن
أن سلطاناً كان يريد أن يقول : احذرا أن تتسلقا الصخرة !
فكيف عرف أو سمع بالخرافات التي تدور حولها ؟

كان الطريق إلى الصخرة جميلاً ، يصعد ويهبط
ويتعرج ، تنبت الحشائش الخضراء على جانبيه ، وبعض
النخيل العالي وهو يحمل سباطات البلح الأصفر ، وبعض
الإبل وهي ترعى الكلاً .

وصلاً إلى أعلى مكان من صخرة عمران ، ووفقاً قرب
حافتها بطلان على البحر ، والشاطئ الصخري من تحتها
تضرب فيه الأمواج .

وفقاً مشدوهين أمام المنظر الرائع الخلاب ، إلى أن
شرعت عالية في العد : واحد . . اثنين . . ثلاثة . .
أربعة . . .

فسألها عارف قبل أن تتم عدّها : ماذا تعدّين يا عالية ؟
فصاحت عالية : انظر ! انظر ! ! إنها تطير فوق
رؤوسنا ! . .

رفع عارف نظره إلى السماء ، فرأى الغربان السوداء وهي
تحوم فوقهما !

إنهما ما زالا يتذكّران خرافة الصخرة ! الغربان السود
الثمانية ! على كل حال ما هي إلا خرافة ! صحيح أن والدهما
كان يتضايق إذا مرّ تحت سلم خشبي ! أو يتشاءم إذا سكب
ملحاً على المائدة ، فكان يقذف قليلاً منه وراء ظهره ! ...
ولكنها خرافات هما لا يصدقانها ، ولا يؤمنان بها ! ..

قال عارف : ولكني لا أرى إلا سبعة غربان فقط !
فأجابته : بل أنا متأكدة أني عددت ثمانية . فقال لها :
وأيّن الثامن ؟ ! ..

وعلى حين فجأة ظهر الغراب الثامن وقد انفصل عن
السرب ، وطار في سرعة رهيبية كالطائرة النفاثة ، وهو يكاد
يمسّ رأسيهما ، وكأنه يريد أن يحذرهما من شيء مجهول !
كانا يشعران بالرهبة عندما سمعا صوتاً يصيح عليهما .
من بعيد : ابتعدا ! .. لا تقتربا ! ..

وكان مصدر الصوت صياداً عجوزاً أبيض الشعر ،
يحمل شبكته على كتفيه . اقترب منهما وقال لهما محدّراً :
ألا تريا الغربان ؟ إنهم ثمانية ! فقال له عارف ، وكأنه
يتجاهل ما سمعه عن الخرافة : وما أهمية ذلك ؟ . فردّ عليه
الصياد العجوز قائلاً : إذا كنت تعيش هنا كنت لا تسأل

مثل هذا السؤال ! فقالت له عالية : ولكن أحد الغربان
انفصل عن إخوته ، وطار فوق رؤوسنا يكاد يمسه ! !
فظهرت علامات الارتياح على وجه الصياد العجوز ،
وقال لهما : أنتما محظوظان ! . لقد أراد هذا الغراب أن
يحذركما ، وهذا يحدث نادراً ، فالآن فقط لن يصيبكما
أذى ، أو يلحق بكما ضرر !

تبادل عارف وعالية النظرات فيما بينهما . ألا يمكن أن
يستشفا من هذا الصياد العجوز ما كان يخفيه جدّهما عنهما
بخصوص صخرة عمران ؟ ؟

وجهت عالية حديثها إلى الصياد العجوز وهي تستدرجه :
لا أظنك تصدّق هذه الخرافات . فأجابها : إنها حقيقة وليست
خرافة . . وأنا أصدقها ! وقال له عارف : ونحن أيضاً يمكن
أن نصدقها ، لو قصصت علينا حدثاً وقع ، بعد أن طارت
الغربان الثمانية فوق الصخرة !

تردّد الصياد العجوز في الكلام ، ثم قال : كاد رجلان
يغرقان هنا ، وفقد ابن عمي ثلاثة جمال ، وأنا كذلك كنت
أصيد هنا ، فوقع في شبكتي سمكة ضخمة ، ظننتها حوتاً ،
كادت تجرّني معها إلى عرض البحر ، فكدت أجنّ بها من

الفرح ، ولكنها قطعت الشبكة وفلتت منى . كل ذلك بعد أن طارت فوق رؤوسنا ثمانية غربان سوداء . ومنذ ستة شهور تقريباً عندما

وهنا توقّف الصياد العجوز عن الكلام ، وخفض من صوته وهمس قائلاً : عندما وقع شخص من فوق الصخرة ، وفقد حياته ! ! ولو أن الإشاعات تروج بأنه لم يسقط قضاء وقدراً ! بل دفعه شخص من فوق الصخرة ! !

فقاطعه عارف : ومن هو هذا الشخص ؟ أهو غريب ؟ فأجابه الصياد العجوز : لا . . . إنه ليس غريباً . . هو أخو عمران ! ! ! . .

أخو جدّو ! . هذا مستحيل ! فهذه أول مرة يسمعان فيها أن عمّهما لقي حتفه من فوق صخرة !

قالت عالية لأخيها وهي لا تكاد تصدق الخبر : ولماذا لم نخبرنا جدّو أو يعلن أن عمّنا مات من فوق الصخرة ؟ ؟ . . وعندما سمع الصياد العجوز هذا الكلام ، ظهرت عليه علامات الخوف وقال لهما : هل عمران جدّكما ؟ . فأجابه عارف : نعم . . ولكن لماذا دفعه هذا الرجل من فوق الصخرة ؟ ومن هو الفاعل ؟ . فتلعّج الصياد وأجاب : أنا لم أقل

شيئاً . . أنا لا أعرف ! . . اسأل جدّك ! ! . .

هاك سرّ جديد سيضاف إلى القائمة الطويلة ، سوف يكتبان عنه إلى أخيهما عامر ، بالإضافة إلى المعزة ظريفة - أو هي عجل أو خروف ؟ - والرجل الغريب سلطان !

قالت عالية : إنى أفكر الآن في ماذا حدث عندما دخل سلطان المنزل . وهل قابل جدّو ؟ فأجابه عارف : سنعرف ذلك بعد قليل ، لقد أخطأنا ، إذ كان يجب علينا أن نراقب سلطان عن قرب !

وقبل أن يصلّا إلى المنزل ، رأيا مبروكة عن بعد ، وكانت تقف قرب الباب الخارجى . فقالت عالية لأخيها وهي تضحك : ها هي العفريتة في انتظارنا ! لابدّ أنها قلقت علينا ، واشتاقت إلى رؤيانا ، فقال لها عارف : يجب أن نسألها أولاً عن سلطان ! فردّت عليه عالية قائلة : والأهم من ذلك أن نسأل جدّو عن عمّنا الذى فقد حياته من فوق الصخرة ! ! وعن الرجل الذى دفعه ! .

قابلتهما مبروكة - على غير العادة - ببشاشة ، ودخلا المنزل وكانت الساعة الأثرية ذات البندول الطويل تدقّ الواحدة ، وصوتها يغطى على صوت مواء مرجان الذى كان

في استقبالهما .

أخبرتاهما مبروكة أن جدّهما كلّفها بأن يعتذر لهما عن تناول الغداء معهما ، لأنه سيلزم حجّته ، بعد أن اشتدت عليه آلام الروماتيزم ! ! . . .

سألتهما عالية بغتة : وهل قابل جدّو سلطان ؟ ؟

ظهرت الدهشة على وجه مبروكة وترددت قليلاً في الإجابة . ثم قالت : سلطان ! سلطان ! من هو سلطان ! ! . فقال لها عارف : سلطان الذي وصل من طنطا ، وكان يريد مقابلة جدّنا لشراء المنزل ! . فأجابته مبروكة وهي تتصنّع الدهشة : شراء هذا المنزل ! هذه نكتة ! لا . . . لم أر أحداً ! . .

يا لها من خبيثة ! . . يا لها من كاذبة ! . . لقد شاهدنا سلطاناً وهو يتجه نحو المنزل ويقصرع الباب . فلماذا هي تنكر ذلك ؟ لاشك أنها تريد أن تخفى شيئاً . . شيئاً خطيراً ! !

وهذا سرّ جديد سوف يضاف إلى القائمة الطويلة !

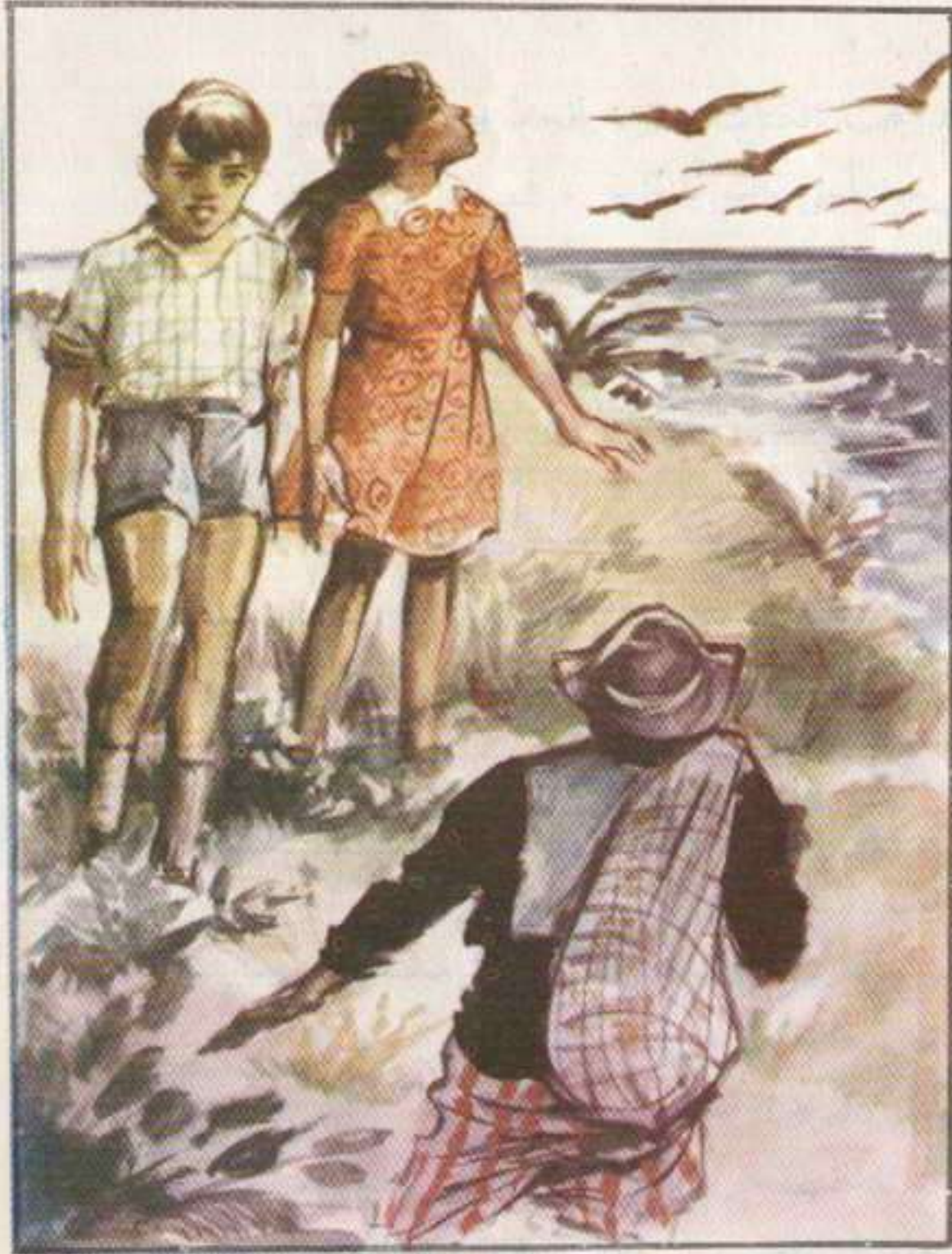
° ° °

لم يبق أمامهما بعد أن تناولا الغداء غير دخول المكتبة .

فدخلوها وأغلقتا الباب خلفهما ، وقصد عارف رأساً إلى الرفّ المعهود ، ومد يده ليتناول كتاب « جزيرة الكثر » .
« لكن ما لث أن صدرت عنه صيحة مكتومة !
لقد اختفى الكتاب ! ! . . .

° ° °





وكان مصدر الصوت صياداً عجوزاً يحمل شبكته على كتفيه . قال لهما
محدراً : ألا تريا الغربان ؟

بدء المعركة



سلطان

كان اختفاء الكتاب
صدمة شديدة لهما ، فهما
يتذكran جيداً أنه كان
موضوعاً بين هذين المجلدين
الضخمين .

ولكن أين اختفى الكتاب ؟
لابد أن يبدأ أخذه ! هل
أخذه جدّهما ؟ إنهما
لا يعتقدان ذلك ! ألم يطلب

منهما أن يفكّا لغز الخريطة العجيبة ؟ وأن يدخلوا المكتبة في أى
وقت شاءا ؟ بعيداً عن أعين مبروكة !

هل أخذه مبروكة ؟ إذا كان هذا الفرض صحيحاً ،
فهى تعلم إذن بوجود الخريطة ! ولكن . . لماذا لم تأخذ الخريطة
من قبل ؟ إن لها ستة أشهر في هذا المنزل !

وإذا كان حصل عليها شخص آخر . . فمن هو يا ترى ؟
وعلى حين غرة صاحت عالية : ها هو الكتاب !

إلى أراه ! ! !

فقد لحت الكتاب بنظرها الحاد ودقة ملاحظتها ، وكان
موضعا على أعلى رف بالمكتبة ، في غير موضعه الأول بين
المجلدين الضخمين ! !

قفز عارف على كرسي وهو يكاد يطير من الفرح
وأخرج الكتاب . ثم أخذ يقلب صفحاته حتى وصل
إلى صفحة ٧٥ .

ولكنه لم يجد شيئا ! ! ! لقد اختفت الخريطة ! !
وفي هذه اللحظة ، سمعا وقع أقدام أدركا أنها لمبروكة ،
وتأكدوا من ذلك عندما رأيا مرجان - وكان معهما في المكتبة
يداعب البيغاء زاهية - وهو يكشر عن أنيابه . ويرفع ذيله
وظهره إلى أعلى ويموء ، فقد شعر بغريزته أنها أقدام مبروكة !
حتى مرجان لا يحبها !

أسرع عارف ووضع الكتاب في موضعه ، وسار إلى
حيث تقف عالية ، ووقفا يتظاهران بالبراءة ، وهما يتطلعان
إلى رؤوس الغزلان المحنطة !

دخلت عليهما مبروكة وإمارات الشر تتطاير من عينيها ،
وقالت لهما في غضب : ماذا تفعلان هنا ؟ ! . فأجابتهما

عالية : نحن نتفرج على رؤوس الغزلان ، هل اصطادها
جدو كلها ؟

فقلت لها مبروكة بوقاحة : حجرة المكتبة ليست مكانكما !
إصعدا إلى غرفتيكما في الحال ! وسأبعث لكما العشاء
الساعة السابعة .

اندهشا من هذه اللهجة العدائية المفاجئة ، ومن تمادياها
في هذه المعاملة الجافة . فبأى حق تصدر لهما مبروكة هذه
الأوامر ؟ ؟ . .

ثار عارف عليها وصاح فيها : جدو أذن لنا باستعمال
المكتبة ! ونحن نريد أن نزوره الآن لنطمئن عليه . فردت
مبروكة عليه ببرود : جدكما مريض ، وقال لي أنه يرغب في
أن يبقى وحيداً ، وأنا أبشر شئون المنزل في أثناء مرضه ! . .
إنها ماكرة وخبيثة ! إذا كان جدو مريضاً جداً ، فلماذا .

لا ترسل في إحضار الطبيب ؟

قالت لها عالية : وهل سنترك جدو يرقد وحيداً في غرفته
وهو مريض ؟ ألا يوجد طبيب هنا ؟ . . فأجابتها مبروكة :
أقرب دكتور في مطروح ! فقال لها عارف متطوعاً : إني
مستعد للذهاب بنفسى إلى مرسى مطروح ! . . ولكنها قالت له :

لا حاجة له بالطبيب ، فسوف تزول عنه آلام الروماتيزم بعد
قليل ، وأنا أعرف علاجه ! .

لم يجدا فائدة من المطاولة معها ، واستسلما أمام الأمر
الواقع ! إذن لقد ابتدأت المعركة الحقيقية مع مبروكة !
حسناً . إذا كان هذا هو هدفها ، فهما مستعدان لخوض
المعركة معها ! ولا بد لهما من الانتصار فيها !

آه لو كان أخوهما عامر معهما الآن ! كان ولا شك
سيقود المعركة ، ويشد من أزرها . . ويتغلبون على هذه الداهية
في النهاية !

صعدا السلم الضيق المظلم ، يتقدمهما مرجان ومبروكة ،
التي كانت تصحبهما لتتأكد من دخولهما غرفتهما . ولتأمن
عدم محاولتهما البحث أو الاتصال بجدتهما !

دخلت عالية عند أخيها عن طريق الغرفة الصغيرة
المسروقة كالعادة . فقال لها عارف : لقد حرصت على مراقبة
مبروكة ونحن نصعد السلم ، وكانت تنظر طويلاً إلى ناحية
غرفة جدو ! إن شيئاً يجري هنا لا ندركه ! أما عالية فقالت له :
أما أنا فقد اكتشفت شيئاً أهم من ذلك ، وهو عقب سيجارة
مذهب في طفاية السجائر بالمكتبة ! . .

تعجب عارف من قوة ملاحظة أخته ، فهو لم يلحظ ذلك ، مع أنه كان بجوارها في المكتبة ! ولكنه يعزو رؤيتها للعقب إلى مجرد الصدفة ! ! .

قال لها : هذا هو العقب الثالث . فأجابته : نعم : الأول أمام باب غرفتك . . . والثاني في الكهف . . . والثالث في المكتبة ! . . . ويبدو لي أن من دخن هذه السجائر مهمل وغبي . . . فوافقها عارف على رأيها وأضاف : هذا صحيح . واتضح أيضاً أن مبروكة أغبي منه ، وأنها غير حريصة ، فهي إذا كانت تخفي أحداً فلماذا تدعه يترك وراءه أثراً يفضحه أينما ذهب ! . ولكن هذا من حسن حظنا . . .

أخذنا يتبادلان الرأي ويبحثان عن الاحتمالات الممكنة : هل دخل سلطان المنزل ؟ وإذا افترضنا أنه دخل فلماذا تنكر مبروكة ذلك ؟ وإذا ثبت أنه دخل ، فهل قابل جدّهما ! . . . وإذا سمحت له مبروكة بهذه المقابلة ، فلماذا تمنعهما من رؤية جدّهما ، وتقف في طريقهما ؟ أليكون سلطان هو صاحب أعقاب السجائر ؟ هذا جائز جداً . فلم يدخل المنزل أى أحد غيره ! ! .

وإذا كان هو صاحب هذه السجائر فهذا يعنى أنه وصل

هنا منذ فترة وبات في الكهف . . . ودخل المكتبة ، تدلّ عليه أعقاب سجائره !

والأهم من ذلك أنه دخل أيضاً غرفة عارف ! ألم يترك عقباً أمام بابها ؟ فما هو السبب ، وما هو الغرض من دخوله هذه الحجرة بالذات ؟ ! !

إذا جاز كل هذا فمن المحتمل جداً أن سلطاناً ومبروكة شريكان يعلمان بوجود الخريطة ، وأنهما دخلا معاً المكتبة هذا الصباح ، وبحثا عن الخريطة حتى عثرا عليها ، ثم وضعوا الكتاب في غير موضعه الأصلي سهواً . فقد كان أمام سلطان ومبروكة من الوقت ما يكفي للبحث والتنقيب في كل كتاب ، وهما متغيبان يشاهدان الصخرة . كما أن جدّهما مريض يلزم حجرته !

أما سمارة فربما كان متغيباً ، يناجى صديقه ظريفة ! فاقا إلى نفسيهما بعد أن وصل بهما الاستنتاج عند هذا الحد . أليكون جدّهما صحيحاً معافى ، وأنه محبوس الآن في غرفته ! ! ومن الجائز أيضاً أن يكون سلطان قد ضربه ، أو أن مبروكة قد أعطته منوماً ، حتى يخلو لهما الجو بعد أن أقفلا الباب عليه بالمفتاح !

وكل ذلك إن دلَّ على شيء ، فعلى أن هذه الخريطة
هامّة جداً !

وهذا بطبيعة الحال إذا صحَّ أن سلطاناً دخل المنزل أصلاً
وأنه على صلة بمبروكة !

أمسكت عالية بذراع أخيها فجأة ، وهمست في أذنه :
أتسمع صوتاً ؟ إنى أسمع وقع أقدام ! سأذهب إلى غرفتي تَوّاً
فمن الأفضل ألاّ نشاهد في حجرة واحدة .

وبعد قليل سمع عارف صوت طرق خفيف على بابه ،
فاندهش لأنه ليست من عادة مبروكة أن تطرق الأبواب !
ولكنه لما فتح الباب وجد سمارة يقف أمامه ، وهو يحمل في
يده صينية عليها طعام العشاء ، في حين وضع صينية أخته
على الأرض .

دخل سمارة الغرفة وترك له الصينية على المائدة ، وخرج
مسرعاً دون أن ينطلق بحرف ! ثم دخل غرفة عالية وفعل
نفس الشيء !

حمل عارف صينيته بعد أن انصرف سمارة ، ودخل بها
عند عالية ، وقال لها : حاولت أن أكلم سمارة ، ولكنه كان
في عجلة من أمره ! فقالت له عالية : وأنا أيضاً ، ولكنه

غمز لي بعينه ، وأشار لي بأنه سيرجع ثانية . . . ولا بدّ أنه كان
خائفاً من العفريتة !

جلس عارف يتناول طعامه ، وبينما هو يرفع صحفه
ليضعه على المائدة ، إذ به يعثر تحته على ورقة صفراء ! . .
نظر عارف إلى أخته متسائلاً : ما هذا ؟ فقالت له :
أتكون رسالة من سمارة ؟

وعندما قلب الورقة المطوية بين أصابعه وفتحها ،
جحظت عيناه ، وعقد لسانه عن الكلام ! فقد كانت الورقة
هى . . الخريطة المفقودة ! !

قفز عارف من كرسيه وقال لعالية : لا تتحركى من
مكانك ! سأرجع إليك بعد قليل .

خرج عارف إلى الطرقة وهو يتلصص على أطراف
أصابعه ، ثم هبط السلم في رفق . كان المنزل هادئاً لا يسمع
في أرجائه غير صوت دقات الساعة الأثرية .

توجّه إلى المكتبة رأساً ، وما كاد يفتح بابها حتى فوجئ
بصوت غريب وهو يصرخ في وجهه : ادبني حتّة سكر ! ! . .
ولكن الهدوء رجع إلى نفسه حينما اكتشف أنه صوت البيغاء
راهبة !

توجّه إلى ركن بالمكتبة ، والتقط شيئاً موضوعاً على مكتب صغير ، دسّه في جيبه ، ثم هروّل خارجاً ، وصعد السلم باحتراس شديد ، وقصد حجرة جدّه ، ونقر على الباب بخفّة ، فلم يلق جواباً ، فقد كان السكون يخيم على الغرفة ! . . .

حاول فتح الباب فوجده مقفلاً بالمفتاح ! !

وفي هذه اللحظة جاءه صوت العفريّة وهي تقول : من هناك ؟ . فقفز بخفّة وهو يعدو ، وأخذ يقطع السلم الضيق ، كل ثلاث درجات أو أربع في خطوة واحدة ! وما كاد يدخل حجرته وهو يرهف السمع حتى جاءه صوت صرير المفتاح وهو يقفل بابه من الخارج !

وبعد فترة وجيزة ، دخلت عالية حجرته ، وقالت له : العفريّة قفلت بابي بالمفتاح ! ! .

فأجابها عارف : وباني أيضاً . فنحن الآن سجينان ، ولولا الغرفة المسروقة لانقطع الاتصال بيننا تماماً ! . . .

أخرج عارف من جيبه الشيء الذي أخذه من المكتبة ، وكان عدسة مكبرة ! . وقال لعالية : الآن هيا بنا إلى العمل ! هيا إلى فك رموز الخريطة العجيبة الناقصة . . .

الرحلة إلى المجهول

أضواء عارف المصباح ووضعت الخريطة أمامه على المائدة ، وبدأ حديثه فقال : والآن . . . كيف وصلت هذه الخريطة إلى يد سمارة ؟ فقالت له عالية : لو أن سمارة اكتشف الخريطة ، وكان يدرك أهميتها لما قرط فيها ، واحتجزها لنفسه .

ويجوز أيضاً أنه وضعها على الصينية ليخفيها عن مبروكة . . . ثم نسيها !

ولكن عارف استدرك وقال : ويجوز أيضاً أن مبروكة اكتشفتها ووضعتها سهواً على الصينية ! فأجابته عالية : إذا صحّ هذا فهي ستعود حتماً لتحصل عليها ! على كل حال هذا لا يهمنا الآن ، فالخريطة بين أيدينا ، فلنسرع في دراستها لعلنا نصل إلى نتيجة !



عامر

نظرت عالية إلى الخريطة وقالت : أظن أن هذا الرسم الذى يشبه الثعبان . . هو طريق يتفرع منه ثلاثة طرق ، آخرها مكتوب فى نهايته حرف (خ) . وهذا الحرف قد يعنى (خطر) ، فيجب الحذر من هذا الطريق من باب الحيطة . وهذه السهام تشير إلى الاتجاه الذى يجب السير فيه . فقطاعها عارف : ولكن هذا الرسم غير واضح . فأين يبدأ الطريق . . وأين ينتهى ! ! وهل هو أصلاً طريق ؟ وأين يقع هذا الطريق ؟

ولماذا لا يكون هذا الرسم نهراً ؟ ولكنهما لم يشاهدا نهراً فى هذه المنطقة ، ونهر النيل لا يصل إلى مرسى مطروح ! ولماذا لا يكون هذا الطريق أو النهر فى أستراليا مثلاً ! ! . . وبعد تفكير قالت عالية : ربما هو طريق فى غابة ! فأجابها عارف لائماً : ليس فى مصر غابات ! هذه خريطة ناقصة ، والشخص الذى رسمها لم يوضح لنا ما هو هذا المكان ، ولا أين ! . فقالت له : ولكن السطور المسوَّحة قد تفسر لنا كل ذلك ، لو أننا توصلنا إلى فك رموزها !

كانت عالية تصوب نظراتها المدققة الفاحصة إلى الخريطة ، ثم قالت : ألا ترى معنى أن هذا الخط المتعرج . .

لا . . هنا ! . . هنا على يمين الخريطة إلى الشرق . . يشبه وجه إنسان ! ! . .

ضحك عارف وقال : مرة هو ثعبان ! ومرة هو وجه إنسان ! دعينا من هذا الهذر والعبث ! ولنفحص الآن السطور المسوَّحة . ومن حسن حظنا أن القلم كان جافاً ومدبباً ، ترك لنا أثراً عميقاً فى بعض الأماكن .

وضعا الخريطة أمام المصباح ، واستعانا بالعدسة المكبرة ، ولكنهما لم يتمكنّا من قراءة جميع الكلمات . وكان ما ظهر من السطور الستة هو هكذا :

انظر إلى الخشبية

تغطى الأرضية

وعدّ حتى الثالثة

ولكى تتفادى كارثة

..... وانزل بحديقة

وعليك اتباع الخريطة

هذا هو كل ما توصلنا إلى حله ، وهو لا يكشف لهما عن الكثير !

صمتا طويلاً إلى أن قطعت عالية حبل السكوت ،

وسألت عارف : هل فهمت شيئاً ؟؟ . وبعد تفكير عميق
أجابها : الكلمات تقول : علينا اتباع الخريطة . لكي
نتفادى كارثة أو مصيبة ! وهذا معناه أن نتبع السهام ،
فهى تشير إلى الطريق السليم ، وعلينا أن نتفادى الطرق
الجانبية فهى لا تؤدى إلى شئ ، وخاصة الطريق الثالث .
وإلا وقعت كارثة ! فواضح أن حرف (خ) إنما يرمز
إلى كلمة (خطر) ! وليس خندق أو خزانة كما كنا
نتصور .

قالت عالية : ولكن الكلمات لا توضح ما هى هذه
الكارثة ! كما لا توضح السهام إلى أين تقودنا ! لو كان
عامر معنا الآن لما احترنا هذه الحيرة يجب أن نرسل له
الخطاب باكراً ، وأن نستحثه على سرعة المجىء
وفجأة أمسكت عالية بذراع أخيها وهمست له : صه !
إني أسمع صوتاً فى الخارج !

سمعا وقع أقدام ، وسمارة وهو يقول بصوت خافت :
افتح أنا سمارة .
وفى لحظة خاطفة ، حدث أمر غير متوقع ! إذ سمعا
دبيب أقدام ثقيلة ، أعقبه صوت جسم يتدحرج على السلم ،

وسمارة يصرخ ويستغيث !!
أدركا أن رجلا اقتنى أثر سمارة وجره إلى السلم ، ثم
قذف به من على فهوى حتى الدور الأول !! .
من يكون هذا الرجل غير سلطان !! فلا أحد غيره
دخل المنزل هذا اليوم . إنه هو ما فى ذلك من شك !
كان بؤدهما أن يهرعا لنجدة سمارة ، ولكن ما العمل
وبابهما مغلق عليهما من الخارج .

أطفأ عاطف المصباح فساد الظلام أرجاء الغرفة ، ثم
سار هو وعالية نحو النافذة وأطالا منها بحذر يستطلعان
الخارج ، فشاهدا شبح سمارة فى الظلام وكان يعرج وهو
يعدو فى الحوش ، إلى أن دخل الحظيرة وأغلق بابها وراءه !
وبعد برهة وجيزة شاهدا مبروكة وقد خرجت من المنزل مسرعة ،
وهى تبحث عنه على ضوء بطارية صغيرة ولما لم تعثر عليه
دخلت المنزل ثانية وهى تهدد وتوعد .

وقبل أن يشرعا فى مغادرة النافذة ، لحا شبحاً يسير
بجوار الحائط فى الحوش . فلفت عارف نظر عالية إليه
وقال لها : من تظنين هذا الشبح ؟ أهو سلطان ؟ . ولكن
بعد أن تمعنت عالية فيه أجابته : لا ! فسلطان ضخم الجثة !



تسلق «عمر» الماسورة في سهولة ، كقرد يتسلق شجرة ودخل الحجرة
من النافذة

اقترب الشيخ حتى وقف تحت النافذة ، ثم أخرج
بطارية من جيبه ، وكان على وشك أن يقرع الباب !
ظهرت صورة الشيخ واضحة جلية في ضوء البطارية .
وما إن تبيناه حتى صدرت عنهما صيحة مدوية كادت
تفصحهما ، وصرخت عالية قائلة : لا ! ! هذا مستحيل ! !
إنه عامر ! !

نادياه بصوت خافت ، فأطلّ عليهما والدهشة تعقد
لسانه ، فأشار له عارف بالانتظار ، وألاً يدخل البيت
من بابه !

تعجب عامر من هذا الغموض ! ولكنه أطاعهما وامتنع
عن الدخول مستمعاً إلى نصيحة أخويه ، ثم تلقت يمنة
ويسرة ، وفحص الحائط عن قرب ، فلم يجد غير ماسورة
مياه تجاور النافذة وتصل حتى الأرض !

ولما كان عامر بطلاً رياضياً في مدرسته ، فقد تسلق
الماسورة في سهولة ويسر ، كقرد يتسلق شجرة ، ودخل
الحجرة من النافذة !

كان عارف وعالية لا يصدقان أعينهما . أصبح أن
عامراً قد وصل ! ! الحمد لله . أخيراً ها هو يقف

بينهما بلحمه ودمه !

قال لهما عامر : ما الذى يحدث هنا ؟ لا تنسيا إني
لا أعلم شيئاً ! فقال له عارف : قبل أن تعرف ما يحدث
هنا ، خبرنا أولاً كيف حضرت !

أخذ عامر يروى لهما قصته . فقال أنه تسلم هذا الصباح
برقية من جدّهم يدعوه فيها إلى ضرورة الحضور على عجل
إلى مرسى مطروح .

وهنا قالت عالية : آه . الآن فقط فهمت جدّو
أرسل سمارة بالبرقية . وهذا هو العمل الهام الذى قال للعفريّة
إنه سيكلّفه به ، عندما أرسلها إلى مطروح لتبتاع له الجرائد !
وقد قصد من ذلك أن يقدم لنا مفاجأة سارة .

تساءل عامر : تقولين عفريّة ! هل هناك عفاريّة
فى المنزل ؟ هل البيت مسكون ؟ ؟ !

فضحكت عالية وقالت له : هذا اسم أطلقه سمارة على
مبروكة ! . فقال لها : ومن هما سمارة ومبروكة ؟ فأجابه
عارف ! ستعرف كل شيء ، حالا ! أولاً نحن مسجونان
هنا . . . و . . .

وقبل أن يتم جملة وضعت عالية كفّها على فمه

لتمنعه عن الكلام !

كانت أذن عالية مرهفة الحس تسمع دبيب النملة

فقد شعرت بصدى صوت يأتي من بعيد !

ظهرت الحيرة على وجه عامر ، وهمس في أذن عالية :

مّم تخافان ! ولماذا لا تتكلمان ! . . فقالت له عالية بهمس

لا يكاد يسمع : نحن نوهمهما أننا نائمان ! !

اعتقد عامر أن المقصود بذلك هما جدّه ومبروكة ،

فهما الشخصان الوحيدان في المنزل ، فقال لها : تقصدين

طبعاً جدّو ومبروكة ، أو ربما سمارة ! . . ولكن . . .

أشارت له عالية أن يصمت ، فقد كان الصوت يقترب

رويداً رويداً !

كان الصوت صوت حذاء خفيف ، أو شبشب ،

يختلط معه صوت وقع حذاء ثقيل . ثم صوت يقول : لا حركة

ولا حس يصدر عنهما ، لا بدّ أنهما قد ناما ! وكان هذا

هو صوت مبروكة ! ثم أعقبه صوت رجل أجش ، تعرّف

عليه عارف وعالية في الحال : فقد كان صوت سلطان

وهو يردّ على مبروكة : أعتقد أنهما ناما فعلاً يا والدتي ! ! ! . .

والدتي ! ! ! يا للاكتشاف الخطير ! سلطان ابن

مبروكة ! ! .

قالت له مبروكة : أمامنا الليل طويل ، ولن يزعجنا

أحد . فهما مسجونان في حجرتيهما ، وكذلك عمران !

فأجابها سلطان : سمارة ما زال حراً طليقاً ، ولكن بعد

العلقة الساخنة التي أعطيتها له ، لا أظنه سيظهر ويعود !

فقالت مبروكة : كنت أظن أننا يمكننا أن نثق بسمارة !

ففاتحته في الأمر ولكنه رفض وخبّ ظني فيه ولكنني اكتشفت

صدقة أنه يحتفظ بمعزة صغيرة يعالج ساقها المكسورة ،

فهددته بأنني سأأخذها منه ! ! ولا أعتقد بعد هذا التهديد أنه

سيشئ بنا !

نظرت عالية إلى عارف وكأنها تقول له : إذن هي معزة

صغيرة ضالة يعالج ساقها المكسورة . . وليست عاجلاً

أو خروفاً !

لا شك أن سمارة ولد عطوف حنون . . ويمكن الاعتماد

عليه !

واصلت مبروكة همسها فقالت : والآن سنتوجه إلى

المكتبة ، إذا كنت تظن أنها ما زالت هناك !

فأجابها سلطان : قلت لك مراراً إنني رأيتها بعيني ومحروس

يضعها في كتاب . . ولا أحد يعلم عنها شيئاً غيرنا !

ثم صمت سلطان قليلاً وعاود همسه : نعم . . لم يعلم بها
غيري وغير شريكى في التجارة محروس أخو عمران . .
وكنا قد اختلفنا في العمل ، وانفصلت عنه بعد أن أفلست
وأضعت مالى وثروتى ، وكنت أعلم أن محروس ثروة ضخمة ،
زَيْن لى الشيطان أتى لو حصلت عليها لأنقذتنى من ورطتى ،
وأنه كان يخفى هذه الثروة فى مكان أمين . فتتبعته السنين
الطويلة بهدف اكتشاف مكانها . . ولكن بدون جدوى . .
فقد كان محروس حريصاً . إلى أن باعته ذات يوم فى
المنزل ، فرأيت مرتبكاً وهو يحاول إخفاء كتاب على رفٍ
بالمكتبة بعد أن دس فيه ورقة صفراء ، اعتقدت تماماً أنها
تحتوى دليلاً على مخبأ الثروة . . أو ربما وصيته . فهجمت
عليه لأنترعها منه ولكنه تمكن من الإفلات منى ، وفر هارباً
وهو يعدو بأقصى سرعته . وأنا أتعبه كظله . إلى أن وصل
إلى صخرة عمران المشثومة . وهناك وقعت بيننا معركة رهيبة
غير متكافئة ، دفعته بعدها بشدة فهوى من شاهق إلى الشاطئ
الصخري . ولكن كان ذلك بعد أن ترك لى هذا الجرح الغائر
فى جبينى قبل أن يلتقى حتفه . كتدكار أبدى لهذه المعركة .

وقد خشيت أن أعود تَوّاً إلى المنزل بعد المعركة للبحث عن هذا
الدليل . لئلا يُكتشف أمرى ، وخوفاً من مطاردة الشرطة ،
وأرجأت هذا البحث إلى الوقت المناسب ، وبعد أن ألحقتك
يا والدتى بخدمة عمران ، حتى تسهّل لى الدخول إلى المنزل
للعثور على ضالتنا المنشودة ، وبدون إثارة أية شبهات !
وهنا قاطعته مبروكة قائلة : ما علينا ! هذا تاريخ
قديم . الآن هيا بنا إلى المكتبة . لقد أضعنا وقتنا فى الكلام
والثرثرة ، وإذا صادفنا الحظ فسوف نعثّر على الحكتر
الشمين ! . . إنه يقدر كما تقول بمئات الألوف ! !

سارا فى طريقهما إلى المكتبة ، بعد أن تأكدا تماماً ،
وتصنّتا على جميع الغرف . من أن الجميع ينام .

ولما اطمأن عامر إلى اختفائهما قال : ما هذا ! عمنا
محروس قتل ! الكتر الشمين ! مئات الألوف ! ما معنى
كل ذلك ؟ ؟

فرد عليه عارف بقوله : إننا لا نعرف بالضبط حتى الآن .
ولكننا سوف نكتشف ذلك قريباً ولكن قبل ذلك يجب أن نعرف
ماذا حدث لجدو . . فهو محبوس فى غرفته لا صوت ولا حس
له ، وربما يكون قد أصابه بعض الأذى على أيديهم !

ثم نظر إلى أخيه عامر وقال له : والآن سنطلعك على الخريطة العجيبة التي سلمها لنا جدو ، وسبق الشرير سلطان في اكتشافها ، وحرمه منها .

فوجئ عامر بهذا النبأ ، فهو لم يكن يتصور قبل وصوله ، أن اللغز الصغير سوف يصل إلى حد وجود خرائط ! فقال : خريطة ! ! هل هناك خرائط أيضاً ؟ !

فأخرج عارف الخريطة من جيبه وقال : نعم ها هي الخريطة . ولكنها للأسف مهمة ناقصة .

أخذ عامر يتفحص الخريطة باعتناء وهو مستغرق في تفكير عميق ، وعارف وعالية يجلسان أمامه لا ينبسان بحرف ، لئلا يقطعان عليه حبل تفكيره .

وأخيراً خرج عامر عن صمته وقال : لاشك في أن هذه الخريطة هي النسخة الأصلية التي رسمها عمنا محروس

فأجابته عالية بأنهما تأكدا من ذلك . بعد أن قارنا بين الكتابات المدونة فيها ، وبين بعض الملاحظات التي دونها محروس في كتاب « جزيرة الكثر » ، فرجداها متطابقة .

قال عامر بهدوء وكأنه يقرر أمراً واقعاً : إذ توصلت الآن إلى أشياء كثيرة ، فالمسألة ليست بالصعوبة التي تبدو عليها ، خاصة بعد سماعنا للمحادثة الهامسة التي جرت بين الشرير سلطان وأمه العفريته ، وإني أشك في أن سلطاناً هو اسم انتحله لكما ، فهو ليس باسمه الحقيقي .

استطرد عامر في الحديث وقال : اتضح لنا أن عمنا كان يملك ثروة ضخمة ، لا نعرف طبيعتها بالضبط ، ولكنها قد تكون جواهر أو ذهب مثلاً ، وأنه أخفاها في مكان أمين بعيداً عن أيدي الطامعين فيها ، ثم رسم للمكان هذه الخريطة العجيبة ، لئلا تختفي معالمها إذا ما حدث له مكروه . وعرفنا أن مبروكة كان تسهل لابنها مهمة مراقبة عمنا عن قرب ، والدخول إلى المكتبة كلما سنحت لهما الفرصة المواتية .

ثم صمت قليلاً وقال : ولكن ما يحبرني هو أين المكان الذي كان يأوي إليه سلطان ويتخذ منه مقراً لقبادته ؟ لابد أن يكون مكاناً سرياً أميناً ، وأن يكون بعيداً عن أعين الشرطة ورقابتها ، وأن يكون قريباً من دار عمران في الوقت نفسه ! !

وهنا صاحت عالية : الكهف ! ! كان يعيش

في الكهف !!

فقال لها عامر وهو مذهول : كهف ! وهل هناك كهف أيضاً ؟ ؟ . فأجابته عالية بأنه سيعرف كل شيء فيما بعد . فليكمل حديثه أولاً .

استرسل عامر في تصوره لما حدث وقال : وفي يوم من الأيام . كان عمي محروس يجلس في المكتبة وحيداً يرسم الخريطة . وينظم عليها هذه الكلمات التي تشبه الزجل ، والتي توضح مكان الكنز ، وهذا هو المفروض من نظمها ، ولكنه حاول أن يمسح هذه الكلمات لأنها لم تعجبه ، ربما لركاكتها ، أو لأنها مبهمة عسيرة الفهم .

ثم صمت قليلاً وقال : وإني أتصور أنه شعر في هذه اللحظة بوقع أقدام تقترب من الباب ، فلم يتمكن من مسح جميع الكلمات . . ثم وضع الخريطة في كتاب كان في جنبه مصادفة . وهرب إلى المكتبة ودسّه . كما اتفق ، في أول مكان صادفه .

وهنا تدخل عارف وقال : ولكن سلطاناً لم يمهله ، إذ كان قد فتح الباب في هذه اللحظة ورآه وهو يفعل ذلك . فأجابه عامر مؤمناً على كلامه : تماماً . هذا هو ما حدث .

والباقي معروف سمعناه . مفصلاً من سلطان .

كان عارف وعالية يرمقانه بفخر وإعجاب ! إن المسألة تبدو الآن بسيطة واضحة . فلماذا لم يصلا هما إلى ما وصل هو إليه ؟ حقاً إن عامراً شعله متوقدة من الذكاء والنباهة وبراعة الاستنتاج .

صمت عامر طويلاً وهو يقدر زناد فكره . إلى أن قال : ولكن هناك شيء واحد يستعصى على إدراكه ! وهو كيف وصلتكما هذه الخريطة !

فنطق عارف وعالية في صوت واحد : وهذا هو ما يحيرنا أيضاً !!



فك رموز الخريطة العجيبة

كان الثلاثة منهمكين
في دراسة الخريطة ، عندما
قال عارف إن الخط المتعرج
في أقصى اليمين يشبه نهراً ..
ربما كان نهر النيل !
تأمل عامر في هذا
الخط المتعرج وقال : ولماذا
نذهب بعيداً ونحن أقرب إلى
الشاطئ ... فنحن نجاور البحر



قفزت عالية وهي تصيح : نعم .. نعم .. وهذا هو
الأنف ! إني أراه واضحاً جداً .

فاندesh عامر وسألها : أنف ! ماذا تقصدين بالأنف ؟ !
فأجابه عارف نيابة عن أخته : تظن عالية أن الشاطئ
هنا يشبه في تعاريجه وجه إنسان ! ثم ضحك وقال : ووجه
مبروكة بالذات ! هذا هو أنفها ، وهذا هو فمها ، وهذه
هي ذقنها ! وكان يشير بأصبعه إلى الخط المتعرج في أقصى

يمين الخريطة .

قال عامر : من الجائز أن تكون هذه الخريطة رسماً
كروكياً توضيحاً لهذه المنطقة . وهذا الطريق ، وهذه السهام ،
تقود إلى فم مبروكة كما تقول عالية !

فقالت عالية بفرح : تماماً .. أي إلى الكهف !
لم يبق أمامهم إلا اكتشاف هذا الطريق . أهو فوق
الأرض ! أو هو درب في الصحراء ! أو هو نفق تحت
الأرض !

قال عامر : إذا كان هذا الطريق يؤدي حقاً إلى الكهف ،
والكهف كما تقولون يقع في مستوى شاطئ البحر وتحت
الصخرة ، إذن فهذا الطريق لابد أن يخترق الصخرة ويمر
تحتها ! يعني لابد أن يكون نفقاً ! !

فأجابه عالية : وأنا أيضاً أرجح ذلك .. هو في الغالب
نفق يجري تحت الأرض ، وينتهي داخل الكهف . ولكن
أين يبدأ النفق ، وأين مدخله ؟ هذا ما لم توضحه لنا
الخريطة !

فقال لهما عامر وهو يكاد يأكل الخريطة بعينه :
إذا أمكننا حل رموز الكلمات الناقصة ، توصلنا إلى

اللغز الغامض ! .

واصل عامر دراسته لهذه الكلمات بعناية ، إلى أن
فاجأهما بقوله : أظن أني توصلت إلى حلها ! . . .

لم يصدّقه أول الأمر ، ولكنه أخذ في شرح ما خفي
عليهما : الكلمات في السطرين الأول والثاني تقول :

انظر إلى الخشبية
التي الأرضية

فقاطعه عارف بقوله : ولكن هذا الكلام مبهم لامي معنى له !
فأجابه عامر باهتمام : بل له معنى ! إذا افترضنا أن هناك
أرضية خشبية . . فماذا يغطيها ؟ ؟

وهنا تسرّع عارف وقال : سجادة . . أو حصيرة !
فضحكت عليه عالية وقالت له مصححة : بل ألواح ط . .
فقال لها عامر : هذا أصح . فإذا أكملنا الجملة كانت
هكذا :

انظر إلى الألواح الخشبية
التي تغطي الأرضية

قال عارف وهو يشعر بالخجل لعدم إدراكه هذه الحقيقة

الواضحة بالسرعة الكافية : هذا صحيح ، لا أدري كيف
فاتت علي . . الحمد لله قد تخلصنا الآن من ثلث الأبيات . .
ولم يبق أمامنا إلا الثلثين !

استطرد عامر في تفسيره وقال : أما السطر الثالث
فهو كامل وواضح ، وهو يطلب منك عدد الألواح حتى تصل
إلى اللوح الثالث !

فقال عارف : هذا واضح جداً الآن . . وهو بسيط !
استمر عامر في شرحه : والسطر الرابع واضح كذلك ،
وهو ينبّهك إلى أقرب وقوع كارثة ، ما لم تتبع التعليمات
المدونة .

فقال عارف : عال . . عال . . الحمد لله قد تخلصنا
الآن من ثلثي الأبيات . . ولم يبق أمامنا إلا الثلث الأخير !
استمر عامر في شرحه وقال : أما السطر الخامس
فيقول :

. وانزل بحبطة

أي انزل بحذر شديد ! فكيف تنزل ما لم يكن هناك
مدخل أو كوة أو فتحة ؟ ؟ . . وهذا يستدعي بداهة رفع
الألواح ، أو على الأصح اللوح الثالث بالذات ، إذ قد

ينحني هذا اللوح فتحة أو مدخلاً ! وبهذا يكون السطر الخامس هكذا :

ارفع اللوح وانزل بحیطة

فقلت عالية وهي غير مصدقة : وإذا نزلنا فسوف نجد النفق ! وعلينا اتباع ما في الخريطة ، لئلا تصادفنا كارثة أو مصيبة . وفي النهاية نعثر على الكثر الثمين ! هذا في منتهى البساطة !

وأخيراً أخرج عامر قلمه وكتب ما توصل إليه على قصاصته من الورق :

انظر إلى الألواح الخشبية
التي تغطي الأرضية
وعند حتى الثالثة
ولكي تتفادى كارثة
ارفع اللوح وانزل بحیطة
وعليك اتباع الخريطة

قال عارف : المهم الآن وقد توصلنا إلى فك رموز السطور الستة أن نعثر على مدخل النفق ! ولا أدري كيف سيكون ذلك ونحن محبوسون هنا في هذه الزنزانة الضيقة ! ! .

صمت عامر ولم يجب ، فقد كان يفكر بعيداً . ثم قال فجأة : أعتقد أن عمّو قصد أن ينحني ثروته أو كنزته في مكان أمين بعيداً عن أعين الطفيليين والأفاقيين المغامرین ، ثم رسم هذه الخريطة ووضح عليها مكان الكثر ، وبطبيعة الحال لا فائدة من هذه الخريطة ما لم يوضح عليها مكان المدخل أيضاً ! . . .

فسأله عالية بلهفة : أتقصد أنك اكتشفت مكان المدخل ؟

فأجابها : ليس بعد ! ولكن بقليل من التعقل والروية يمكننا أن نصل إليه ! وإني واثق أن هذا المدخل في هذا المنزل بالذات !

فقاطعه عارف : ولماذا لا يكون في موقع آخر . . فقال عامر : ذكر عمّو كلمة « الألواح الخشبية » ، والألواح تكون عادة في الحجرات وفي البيوت ، أليس كذلك ؟ . . فإذا كان الأمر كذلك فما الداعي لأن ينحني عمّو كنزته في مكان غريب بعيد ، ولديه هذه القلعة الواسعة الحصينة ؟

ثم سألهما عامر : هل توجد حجرات ذات ألواح خشبية في هذا المنزل ؟ . فقال له عارف : نحن لم نر إلا المكتبة ،

وحجرة الطعام ، وغرقى ، وغرفة عالية ، وأرضياتها جميعها
مرصوفة بالبلاط المعصراني ؛

ابتسم عامر ابتسامة ذات معنى وقال له : كان يجب
عليك أن تلاحظ شيئاً هاماً ، وهو أن الحجرة الصغيرة
المسروقة أرضيتها من الألواح الخشبية القديمة !

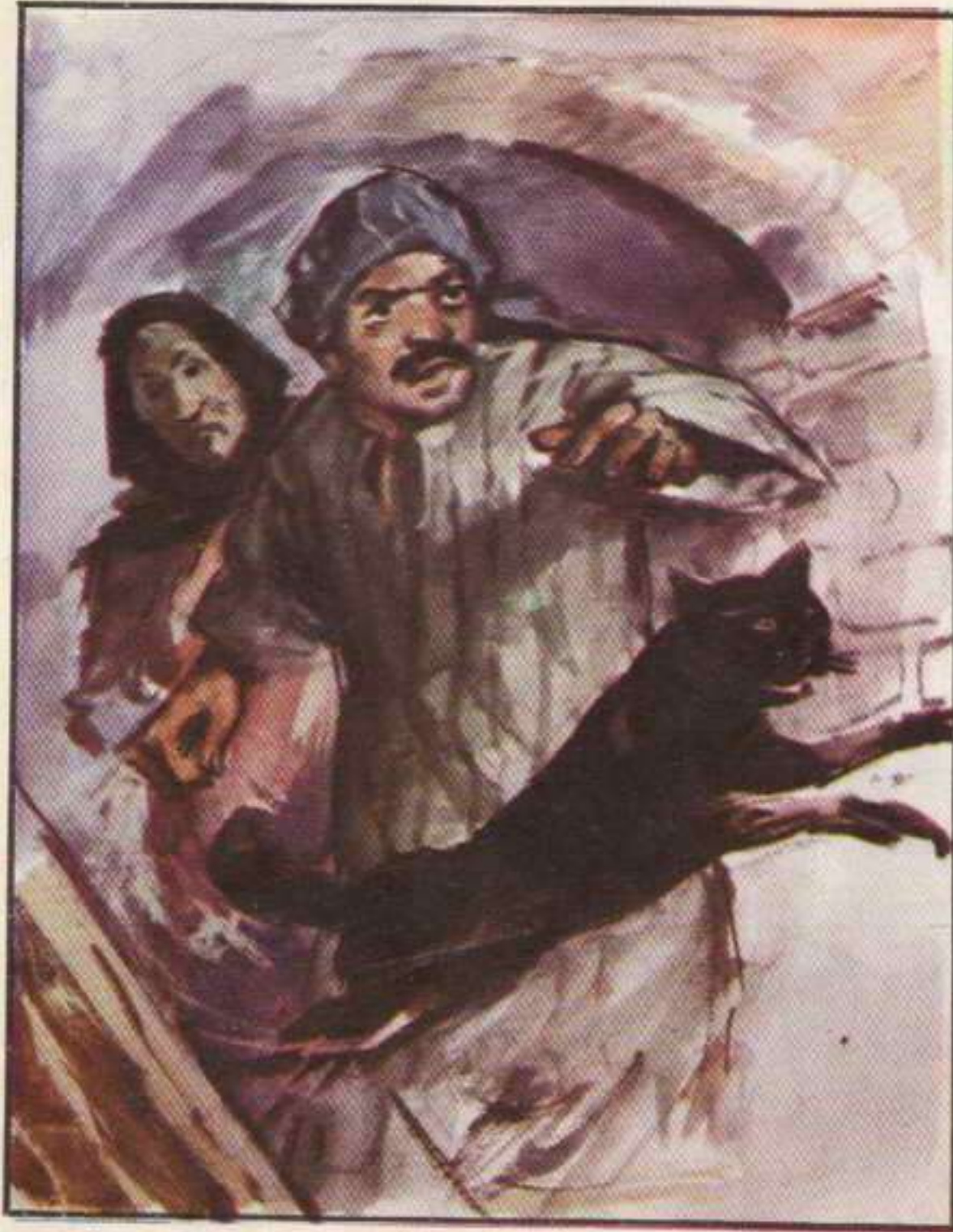
وفي لمح البصر هجم ثلاثهم على الحجرة المسروقة ،
وأخذوا في معابقتها ، وكانت تزددحم بهم لضيقها وصغرها .

أخذت عالية تعدّ الألواح العريضة بصوت مسموع :
واحد ، اثنين ، ثلاثة . . . هذا هو اللوح الثالث ! إنه
عريض جداً .

قفز عامر فوق اللوح الخشبي الثالث العريض ، وأخذ
يدقّ عليه بكل ثقله ، فوجد أنه غير ثابت يهتر تحت
وطأة قدميه . .

حاول الثلاثة رفعه ولكنه كان ثقيلاً ، ولكنهم تمكنوا من
زحزحته ورفعته بعد مجهود شاقٍ مضني ، حتى أخذ العرق
يتصبّب من جبينهم .

رفعوا اللوح الخشبي فظهرت لهم فتحة ضيقة تكفي لأن
يهبط منها شخص واحد . ومثبت فيها سلم خشبي يقود إلى



آثار الرعب تبدو على عيني «سلطان» و «مبروكة» ، عندما تبين لهما
أن كرتي الضوء . . هي عينا مرجان !

أسفل . . إلى المجهول ! !

تجمعوا حول الفتحة وأخذوا يطلّون منها ، ولكنهم لم يروا شيئاً سوى الظلام الدامس . وكانت رائحة الرطوبة شهباً عليهم قويّة من باطن الأرض .

وقفوا وهم يرتعدون من الرهبة ، فقد كان المنظر مخيفاً من الخارج ، فما بالهم بداخل النفق الطويل الذى سيخترقونه إلى أن يصلوا . . . إلى أين ! ربما أسفل الصخرة . . أو ربما داخل الكهف ! . . أو إلى المجهول ! . .

كانوا يفكرون فى (الكارثة) التى جاء ذكرها فى الخريطة .
أى نوع من الكوارث ، وما هو كنهها ؟ ؟ . .

وكل هذا يتوقّف طبعاً على ما إذا كان حلّهم لرموز الخريطة صحيحاً ! أما إذا كانوا قد أخطئوا الحلّ ، فكان الله فى عونهم ! لأن المغامرة التى سيقدمون عليها خطيرة ووعرة لا يحتمل معها الخطأ ! وإلا فماذا سوف يكون عليه مصيرهم !
يا لها من مخاطرة ما كان أغناهم عنها ! . .

ظلّوا ساكنين واجمين لعدة دقائق إلى أن نظقت عالية بصوت مرتعش : وماذا سنفعل الآن ؟ ؟ فأجابها عامر ببساطة :
هيا بنا . . ماذا ننتظر ! . .

قال عارف : وإذا رجعت مبروكة ومعها ابنها الشرير
ولم يجدانا في الحجرة ! ربما اقتنيا أثرنا . . أو قفلا وراءنا
باب النفق وحبسونا بداخله ! . .

فأجابه عامر : لا أظن ذلك . . فلا تضيع الوقت .
هما الآن في المكتبة منهما مكان في البحث عن الخريطة !
واقترح أن ننزل معاً ، أنت وأنا ، ونترك عالية هنا ، ففي مجيئها
معنا مخاطرة كبيرة !

فاعتضت عالية فوراً على تصريحه ، وقالت محتجة :
وإذا عادت مبروكة وسلطان وعثرا على وحيدة في الغرفة !
لا . . لا . . يجب أن نتضامن معاً ، فالواحد فداء الجميع . .
والجميع فداء الواحد . . على رأى الفرسان الثلاثة . ومع ذلك
فمّم تخافون ! هل سنقابل أسوداً ونموراً ؟ ؟ . .

• • •

بالرغم مما صادف الإخوة الثلاثة من أوقات عصيبة ،
ومواقف خطيرة في مغامراتهم السابقة ، إلا أنهم لا يذكرون
ما فاق إثارة النزول إلى هذا النفق العجيب !

تقدم عامر يحمل بطاريته ، تتبعه عالية في الوسط ،
ثم عارف في المؤخرة . كان تقدمهم بطيئاً ، يخطون بحرص

وحذر وصعوبة ، لأن النفق كان ينحدر في ميل شديد ،
ولا عجب في ذلك فهو يتجه الآن إلى باطن الأرض ، يخترقها
حتى يصل أسفل الصخرة !

هذا إذا صحّت الخريطة ! أو بعبارة أدق . . إذا
صحّت قراءتهم للخريطة !

كانوا يثرثرون لمجرد إبعاد الخوف عن نفوسهم ،
ويستمعون إلى صدى أصواتهم يأتي من بعيد ، يرنّ في أرجاء
النفق ويملاً فراغه . .

وهكذا ابتدأت رحلتهم العجيبة إلى عالم المجهول . .
وهم لا يعلمون كيف ستنتهي . . أو كيف سيعودون . .

• • •

داخل النفق الرهيب

واصل الثلاثة تقدمهم
على مهل وبخطى بطيئة ،
والبطارية تضيء الطريق
تحت أقدامهم .

كانت عالية تمسك
بطرف جاكته عامر ، في
حين كان عارف يمسك
بطرف فستان عالية ! وكأنهم
من متسلقي الجبال . . كل
متسلق منهم يُربط في زميله بجبل .



القط مرجان

بدءوا يشعرون بالتعب ، ليس فقط من انحدار النفق ،
بل من ضيقه وانخفاض سقفه ، فقد كانوا يزحفون بسرعة
السلحفاة ، ورؤوسهم مطأطئة لا يرون إلا أرض النفق !
وأخيراً وصلوا إلى مكان من النفق اتسع عرضه ،
وعلا سقفه ، واستقامت أرضه . وهنا فقط تنفسوا الصعداء .
قال عامر : ألا تشعن معي بتيار من الهواء البارد ؟

فقلت عالية مؤمنة على كلامه : نعم . . لعله يصلنا من
الكهف . . فأنا أشم رائحة البحر ! . وقال عارف : وأنا
أيضاً . . والآن إذا صدقت الخريطة فسنصل قريباً إلى
التفرع الأول على اليسار !

وقالت عالية محذرة : يجب علينا ألا نخطئ لئلا ندخل
الطريق الثالث الخطر . . فطمأنها عامر قائلاً : على كل
حال فنحن لن نحيد يميناً أو يساراً ، بل سنتبع النسيم
في الخريطة . .

وصلت قافلتهم إلى التفرع الأول من الطريق ، وكانوا
يسيرون الآن وهم معتدلوا القامة . ثم وصلوا بعد فترة وجيزة
إلى التفرع الثاني .

بدأ الاطمئنان يدخل قلوبهم . . فالخريطة صادقة . .
حتى الآن ! ! ! إلى أن تلفت عامر وراءه ليحدث
عالية ، ولكنه ما لبث أن بُهت مما رأى ، وانعقد لسانه عن
الحديث ، وكانت آثار الرعب تبدو على وجهه ! فقد شاهد
وميض نور أخضر يشع في الظلام وهو يقترب منهم ! ولكن
آثار الخوف ذهبت عنه فجأة عندما تبين له أن كُرتي الضوء . .
هما عينا مرجان .

كانت عينا مرجان تبرقان كعيني النمر في الغابة المظلمة .
وكان يتبعهم كظلمهم . لقد رفض مرجان البقاء وحيداً
في الغرفة !

أصبحوا الآن أربعة . واصلوا مسيرهم إلى الأمام يتقدمهم
مرجان الذي سبقهم . . وكأنه يستكشف لهم الطريق !
كانوا يقتلون الوقت في الحديث ، فقالت عالية
وهي تتطلع إلى جدران وسقف النفق : ترى من حفر هذا
النفق ؟ . فأجابها عامر : ليس جدو عمران بطبيعة الحال . .
أو عمو محروس ، هذا نفق قديم جداً ، والبيوت القديمة
كلها تحتوى على سراديب ودهاليز وأنفاق !

وقال عارف : أو ربما حفره جماعة من المهربين ! ولكن
هل يعلم جدو بوجود هذا النفق ؟ فأجابه عامر : طبعاً هو
يعلم . إذا كان عمو محروس يعلم بوجوده فلا بد أن جدو
يعلم به كذلك !

ثم قالت عالية وهي تستغرق في الضحك ، وكانت
ضحكاتها المتواصلة تسرى عنهم وسط جو النفق الخانق
المخيف : ومن الجائز أن جدو وعمو كانا يلعبان فيه
« الاستغماية » عندما كانا في سننا ! !

كان عامر يفكر فيما قاله عارف : إذا كان المهربون
قد حضروا هذا النفق حقيقة ، فلا بد أن يكونوا قد شقوا له
مخرجاً يصل بهم إلى بر الأمان . . وهرباً ممن يقتنى أثرهم . .
وأغلب الظن أن يكون هذا المخرج - ويعتبر مدخلاً في
الوقت نفسه عند الضرورة ! - قرب شاطئ البحر .

كان يهمة وجود هذا المخرج ، حتى إذا قطع عليهم
سلطان ومبروكة خط الرجعة . . أمكنهم الإفلات من المطاردة
عند نهاية النفق .

قال عامر : نحن نقرب الآن من الطريق الثالث الخطر ،
فيجب الحذر . ويجب أيضاً أن نراقب مرجان ، وأن نمنعه
من دخوله . . . ولكن أين مرجان ؟ ؟

أخذ ينادى على مرجان ، ولكنه كان قد اختفى تماماً
عن الأنظار !

قالت عالية : ربما رجع مرجان إلى المنزل ، أو سبقنا
إلى الأمام ، على كل حال لا خوف عليه ، فللقطط سبعة
أرواح . .

تابعوا السير بسرعة ، وكان الأمل يداعبهم في العثور
على الكنز وقد قاربت رحلتهم على النهاية .

لاح لهم الطريق الثالث الخطر . وعندما مرّوا أمامه
هَبَّ عليهم منه نسيم البحر . سكتوا عن الحديث والخوف
بتملكهم ، والتصقوا ببعضهم حتى أصبحوا كشخص واحد
يسير على ست أقدام !

وأخيراً وصلوا إلى نهاية المطاف ! فوجدوا أنفسهم في مكان
متسع ، يسده حائط من الصخر الأصم !

صَوَّب عامر البطارية على الحائط فوجد فيه ثغرة صغيرة
ارتفاعها يقرب من النصف متر ، هي التي كان ينفذ منها
الهواء !

أخذ يدير ضوء البطارية الضعيف هنا وهناك ، فلم
يجد شيئاً ، كان المكان خاوياً تماماً كالصحراء الجرداء ! !
كاد اليأس ينتابهم حينما صاحت عالية : انظروا !
هناك ! !

فأدار عامر البطارية ونظر في الاتجاه الذي أشارت
عليه ، فاكتشف تجويفاً في ركن أسفل الحائط الصخري ! !
كان التجويف صغيراً لا يلفت النظر ، عثروا فيه على
كيس أسود ! ولما أخرج عامر الكيس وجدته ثقبلاً ، ولما
تحسّسه وجد فيه شيئاً صلباً .

فقال له عارف وهو يتعجّله : هل وجدت شيئاً ؟ أخرجته
بسرعة لئلا تملأ محتوياته ! فأجابه عامر وهو يهتز من الفرح :
نعم . غالباً هو صندوق صغير !

فتح عامر الكيس الأسود فوجد به صندوقاً متوسط
الحجم ملفوفاً في ورقة اصفر لونها ، وعلى الورقة كتبت هذه
الجملة بالحبر الأحمر :

إلى عمران الطيّب . . من محروس الشقي . .
وعندئذ لم تتمالك عالية شعورها فصرخت : أخيراً . .
لقد عثرنا على الكثر الثمين ! !

تكلم عامر بهدوء وقال : هذا الصندوق هو ما رسمت
الخريطة من أجله . وهذا هو ما تبحث عنه مبروكة . .
وابنها سلطان !

فأكمل له عارف كلامه : وما زالا يبحثان عنه حتى
هذه اللحظة في المكتبة . . هيا افتح الصندوق لئلا تملأ ما فيه
من نفائس . . .

وهنا تدخلت عالية معترضة عليهما : كيف نفتحها !
إنه يخص جدّو ، ولا يخصنا نحن !

سكت عامر وعارف على مضض ، فهما يعلمان جيّداً

أن الكثر لا يَخْصَمهم ، ولكن ألا يرجع الفضل في اكتشافه إليهم ؟؟ فلولا مغامرتهم وجهودهم المضنية ، ومخاطرتهم المثيرة ، لما عثر عليه أحد ، ولظل الكثر الثمين دفيناً إلى الأبد . . .

قال عامر : وكيف سنسلمه إلى جدو وباب حجرته مغلق ! وكذلك بابنا ! فأجابه عارف : فلنفكر الآن أولاً في الرجوع . . . هيا بنا فقد تضايقت من الظلام والرطوبة . وأظن أن مرجان تضايق أيضاً ، وسنجد في انتظارنا يتمدد على السرير كعادته !

• • •

بدأت رحلة العودة ، وكان عامر يقود الطابور وهو يحتضن الكثر الثمين . وقبل أن يصلوا إلى منحني الطريق الخطر ، وقد أصبح الآن إلى يمينهم ، على حين كان في رحلة الذهاب إلى يسارهم ، سمعوا صوتاً لم يكونوا يتوقعونه : هو صوت وقع أقدام ! !

كانوا يتقدمون بسرعة ، وعلى قدر ما تسمح به حالة الطريق ، عندما سمعوا أصواتاً آدمية تختلط مع صوت وقع الأقدام ! !



فتح « عامر » الكيس الأسود فوجد به صندوقاً متوسط الحجم ملفوفاً في ورقة أصفر لونها

توقفوا عن السير فجأة وهم يحاولون الاختباء وراء المنحنى
الخطر ! وبعد دقيقة من الانتظار ، مرّت عليهم كدهر ،
رأوا شعاعاً ضعيفاً من النور يتحرك ناحيتهم ، ولكنه توقف
فجأة ، ثم ابتدأت الأصوات تتكلم ! ! !

تعرفوا على الصوت في الحال ! لاجدال في أنه صوت
سلطان الأجنّس ، وكان يقول : ها هو طريق ثالث يتفرّع
إلى اليسار ! ! ! . فأجابه الصوت الثانى قائلاً : فلنأخذ
هذا الطريق ! ! ! . وكان صوت مبروكة ، كيف لهم أن
يخطئوه ؟ إنهم يميّزون صوتها الرفيع من بين أصوات العالم
أجمع .

قال لها سلطان : لا بدّ أنهم هنا في مكان ما من النفق !
الويل لهم إذا وضعت يدي عليهم ! . فأجابته مبروكة : المهم
أن نضع أيدينا على الكثر لا عليهم !

ثم سمعوا صوت ضحكة عالية ارتجت لها حوائط النفق ،
ومبروكة تقول : عندي فكرة نيّرة ! عندما نعثر عليهم ،
ننتزع الكثر منهم إذا كانوا قد عثروا عليه ، ثم نتركهم داخل
النفق ونسدّ عليهم الباب ، إلى أن نهرب بعيداً بالكثر .
فما رأيك ؟ ؟

وما إن انتهيا من حديثهما ، حتى بدأ في التحرك نحوهم !
ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ! . إذ صدرت صرخة
عالية من مبروكة وهي تقول : ها هو القط ! لابد أنهم
قريبون من هذا المكان ، إن مرجاناً سيقودنا إليهم ! فهم
لا يفارقونه ولا يفارقهم .

جرى مرجان بأقصى سرعة ، ودخل في الطريق الثالث
الخطر ! يتبعه سلطان ومبروكة ! . . .

انتهز الثلاثة هذه الفرصة الذهبية التي أتاحها لهم مرجان ،
وتابعوا السير إلى الأمام في طريق العودة إلى المنزل .

ولكن عامر توقف بعد لحظة وقال لعارف : ارجع أنت
مع عالية إلى المنزل ، وسأتبعكما بعد قليل . سأذهب للبحث
عن مرجان إذ لا يمكن أن نتركه وحيداً مع سلطان ومبروكة !
فأجابه عارف : بل سأذهب أنا فهو قطي وأنا
مستول عنه . . .

ولكن ما إن ختم عارف حديثه ، حتى مرق مرجان
أمامهم كالسهم الطائر ، بعد أن ضلل سلطان ومبروكة ،
ثم هرب منهما بخفة دون أن يشعرا به !
وإذا كان هناك رقم قياسي عالمي لاجتياز الأنفاق ،

فلاشك أن الثلاثة المغامرين الصغار قد ضربوه ! فقد وصلوا
إلى مدخل النفق في دقائق معدودات .

تسلقوا السلم الخشبي ، ودخلوا الحجرة الصغيرة المسروقة
وهم يلهثون من العدو ، ليجدوا القط مرجان يتمدد على
السريـر ، وكأنه وصل تـواً من نزهة جميلة ، وباب الحجرة
مفتوح على مصراعيه .

قال عامر : هل سنفعل بهما الآن
أدرك عارف وعالية ما يدور في رأس عامر ، إذ كانا
يفكران في نفس الشيء ! . . .

أليس هذا هو ما كان سلطان ومبروكة ينويانه بهم ! ! ! .
قال عامر : نحن مضطرون إلى ذلك . . . ولا مناص
من حجزهما في النفق قبل أن يرجعا . . . هذا إذا رجعا سالمين
بعد أن دخلا الطريق الخطر ! والفضل في ذلك يرجع
إلى مرجان !

ثبّتوا اللوح الخشبي العريض في مكانه ، وألقوا عليه
ما أمكنهم حمله من الغرفتين حتى تتعذر إزالته .

وهكذا سجنوا العفريتة مبروكة ، وسلطان الشرير ،
في النفق ، إلى حين أن يتصرف جدّهم في أمرهما . .

وبعد أن كَلَّتْ مهمتهم بهذا الانتصار الباهر ،
حمل عامر الصندوق الثمين ، وأسرعوا به إلى حجرة جدّهم
عمران . . .

كان في نيتهم أن يحطّموا باب غرفته إذا تعذّر عليهم
فتحه .

ولكنهم وجدوا أمامهم مفاجأة سارة سعيدة ! فقد كان
الباب مفتوحاً ، وسجارة المخلص الأمين يقف أمامه في انتظار
النجدة .

جحظت عينا سمارة عندما شاهدتهم ، فقد كانوا اثنان
عندما رآهما لآخر مرة . . فإذا بهم الآن ثلاثة ! . . فهو لم
يشاهد عامراً من قبل !

صاحت عالية وهي تقول لسمارة : كيف حال جدّو
يا سمارة ؟

وإذا بصوت عمران يناديهما من الداخل : كيف حالكم
يا أولاد . . .

تعالوا . . تعالوا ادخلوا . .

كانت عالية أول من دخل الحجرة ، وارتمت في
أحضان جدّها وأخذت تقبله ودموع الفرح تطفّر من

عينيهما وتسيل على خديها ، وهي تقول له : كيف حالك
أنت يا جدّو . . الحمد لله على سلامتك !

• • •



كان عمران يرقد على سريره وهو يستعيد نشاطه بعد الحوادث المثيرة التي مرت به . وكان الأربعة يلتفون حوله : عامر ، وعارف ، وعالية ، وسמارة . أما مرجان فقد قفز على السرير وتمدد عليه بجانب عمران .



وكانوا يتكلمون في نفس واحد ، كل منهم يريد أن يروي القصة على لسانه .
قال لهم الجد : اعملوا معروف ! تكلموا بالدور ! وإلا فلن نصل إلى نتيجة . . . ولكن . . . وقبل كل شيء . . . أين مبروكة وسلطان ؟ ؟
تنحنح عامر وأجابه : لا تحمل همهما يا جدو . . .
هما الآن . . . يعني . . . في الحجز ! ! . . .

فظهرت أمارات الدهشة على وجه عمران وقال :
الحجز ! ! ومن وضعهم في الحجز . . . على كل حال هما يستحقان ذلك وأكثر . . .
فقالت عالية وهي تضحك كعادتها : الحجز يعني . . . في النفق !

ازدادت دهشة عمران وقال : نفق ! أي نفق ! آه صحيح . . . طبعاً . . . طبعاً . . . النفق !
سأله عامر : إذن فأنت تعلم بأمر النفق ! . فأجابه عمران : طبعاً أعلم . . . ولكني كنت نسيت تماماً . كنا نلعب فيه أنا وأخي محروس في طفولتنا ، ولكن والدنا منعنا من ذلك بعد أن كدنا نهلك فيه ذات مرة ، وسدّه بالواح خشبية ثقيلة . . .

ثم نظر إليهم طويلاً ، وكأنه يرتاب في صحة كلامهم :
أتقصدون أنكم كنتم في النفق مع مبروكة وسلطان ! . . . وهل هما مازالا فيه تحت الأرض هناك ؟ !
قالت له عالية وكأنها تريد أن تبرر فعلتهم : نحن نشعر بفعلتنا القاسية معهما ، ولكنهما كانا ينويان بنا شراً ، وهذا جزاء عملهما !

فقال عمران وهو يغمز بعينه : والآن مبروكة وسلطان . .
في الحفظ والأمان ! إلى أن نستدعى لهما رجال الأمن . .
ونضعهما في الليمان !

جلسوا حوله على السرير وهم يتحرّقون على سماع قصته
المثيرة وما فعلته به مبروكة وسلطان ، في حين وقف سمارة
بجواره ساكناً .

بدأ عمران وهو يوجّه حديثه إلى عارف وعالية : بعد أن
اجتمعت بكما في المكتبة لآخر مرة ، وأطلعتهما على الخريطة ،
ثم غادرتما المنزل للذهاب إلى الشاطئ . . هل تذكران
ذلك ؟

فقالت له عالية : طبعاً . . وكيف ننساه ! عندما
دخلت علينا مبروكة فجأة بدون استئذان . .

فقال عمران : تماماً . بعدها جلست وحيداً فغلبنى
النعاس ، ولكنني استيقظت فجأة على صوت دقّ عنيف على
الباب الخارجي للمنزل ، ثم دخلت مبروكة لتخطفني أن
رجلاً اسمه سلطان يطلب مقابلي !

فقال عارف : لقد قابلنا سلطاناً أمام الحظيرة ، وذكر
لنا أنه يريد مقابلتك . . ولم نكن نعلم أنه شرير أفاك . .

وأنه ابن مبروكة ! !

واصل عمران حديثه ، وقد ظهرت علامات الحزن
على وجهه ، بعد أن فوجئ بهذا الخبر الذي لم يكن يخطر له
على بال : ابن مبروكة ! ! !

يا للعينه الشيطانة . . الآن فقط فهمت أشياء كثيرة
وضحت لي . ولكن هذا لا يهم الآن . . لقد انقضى أمره . .
فلنرجع إلى مبروكة . . لما سألتها ماذا يريد هذا الرجل ؟
أجابت بأنه يريد شراء المنزل ! فقلت لها : ولماذا يسألك
أنت ؟ أما كان الواجب عليه أن يفاتحني أنا صاحب المنزل !
أبلغيه أن المنزل ليس للبيع ، وأني أرفض مقابله !

صمت عمران قليلاً لكي يلتقط أنفاسه ، ثم استمر
في روايته : ولكنها قالت لي : حسناً . سأبلغه ذلك ، ثم
سأرجع إليك لكي أرافقك إلى حجرتك ! ! . فشككت
في الأمر ، وأنها تريد أن تتخلص مني . فغضبت ونهرتها بشدة
وقلت لها : بل سأملكها هنا في المكتبة ! ولن أتحرك من هنا !
وهددتها بالطرد من خدمتي لوقاحتها . .

ثم توقف عن حديثه ، وكان يضحك كلما تذكر
مبروكة وهي تحاول في هذه اللحظة أن تتخلص من سجنها في النفق ،

فلا تجد لنفسها خلاصاً !

وبعد أن هدأ قليلاً تابع حديثه : تضايقت مبروكة
لأننى صممت على الجلوس فى المكتبة ، ولكنها خرجت
- حسب قولها - لتصرف الزائر الغربى . وهذا ما كنت
أظنها ستفعله . ولا بد أنى غفوت ثانياً ، إلى أن صاحوت على
أصوات تتكلم ، أحدها لمبروكة ، والثانى لابنها الشرير . . .
وقبل أن يتم حديثه ، قاطعه عارف وهو يتكلم بسرعة
مائة كلمة فى الدقيقة : نحن نعرف ماذا فعلت أنت بعد ذلك
يا جدو . . . اندفعت إلى المكتبة . . . وأخرجت كتاب جزيرة
الكنز . . . وسحبت منه الخريطة . . . ووضعت الكتاب على
الرف بسرعة . . . ولكنك أخطأت مكانه الأول ربما من باب
العجلة ! !

فقال له عمران : يا لك من ولد ذكى . . . وكيف عرفت
ذلك ؟

فأجابه عارف : لأننا لما رجعنا للكتاب فيما بعد وجدناه فى
مكان مختلف . كما أن الخريطة اختفت من بين صفحاتى
٧٥ و ٧٦ . ولكن أخبرنا الآن ماذا حدث بعد ذلك ؟

قال عمران : دخلت مبروكة وسلطان المكتبة ، وكانت

الخريطة ما زالت فى يدى ، ولكنى أخفيتها بسرعة . . فى
جيبى الداخلى على ما أتذكر ، ووجدت أنه من الأصوب
والأسلم أن أترك لهما المكتبة بما فيها . . فما خوفى والخريطة
أصبحت فى حوزتى ! ! ولا قدرة لى على مقاومتها ، ثم صعدت
إلى حجرتى مستسلماً ، خوفاً من ابن مبروكة الذى كان يبدو
كالوحش الكاسر . ولكن اللعينة كانت تتبعنى كقصاص
الأثر ، وما إن فتحت الباب حتى دفعتنى بقوة وعنق داخل
الغرفة . وكان سمارة يشاهد ما يحدث وهو يقف مخبئاً فى
ركن بالطريقة . . . أليس كذلك يا سمارة ؟ . . والآن حلّ دورك
يا سمارة لتروى قصتك ! . .

كان سمارة يقف منزوياً ، ولكنه كان يشعر بالفخر
والزهو فى قرارة نفسه . . . أليس هو الآن بطلاً حقيقياً من
أبطال هذه القصة المثيرة ؟

قال سمارة : كنت فى الحظيرة عندما قررت أن أعترف
لسيدى عمران بسر . . .

ولكن عالية سبقته وحديثه قائلة : عرفنا يا سمارة أنك
تحتفظ بمعزة اسمها ظريفة ! وسمعتها وهى تسمى ، وأنا
متأكدة أن جدو لا يمانع فى أن تحتفظ بها .

قال عمران على الفور : ولماذا أمانع ؟ مبروكة هي التي تمنع ! .

تشجع سمارة بهذا القول وتابع حديثه : وجدت ظريفة تائهة في الصحراء المجاورة ، فأخذتها إلى الحظيرة المهجورة وخبأتها هناك لمعالجة ساقها ، لأنها كانت تعرج ، ولكن مبروكة اكتشفت المعزة . .

قالت عالية لسمارة : نعرف يا سمارة أنك تحب المعزة وتعطف وتحنو عليها ، فقد سمعناك تتحدث معها وتلاغيها . . وكنت ستبوح لها بسر ! ولكننا قررنا أن نترك المكان قبل أن نستمع لهذا السر . .

نظر إليهما سمارة نظرة الإكبار والاحترام ، ثم واصل روايته : وفي يوم . . طلبت مني مبروكة مساعدتها في البحث عن شيء معين في المكتبة ، وأنا أعلم أنه لا يخصها ، فما شأنها بالمكتبة ! ! . . فرفضت تلبية رغبته . . فهددتني بذبح المعزة إن أنا أفشيت سرها ! وهذا هو السر الذي قلته في أذن ظريفة !

قال عمران : سمارة ولد أمين ، وأنا مدين له بالكثير فقد أنقذ حياتي ! أكمل القصة يا سمارة . .

قال سمارة : ولما ذهبت لأبلغ سيدي عمران ، فوجئت بأن رأيت مبروكة وهي تدفعه داخل الحجرة بقسوة متناهية ، وتقفل بابها بالمفتاح وتضعه في جيبها . . ثم انصرفت مسرعة . . قال له عمران : ولكنك نسيت أن تذكر شيئاً هاماً يا سمارة !

فاستدرك سمارة وقال : صحيح . . قبل أن تدفعه مبروكة داخل الحجرة . . رأيت شيئاً يسقط من جيبه ، ولكن لحسن الحظ لم تنتبه مبروكة إليه ، فذهبت بعد انصرافها والتقطته ، فوجدته ورقة صفراء بها رسم يشبه فرع الشجرة ! فاحتفظت بها في جيبى إلى حين أن تفتح مبروكة الباب وأسلمها لسيدي عمران .

فقال عمران : نعم . . كان الباب مقفلاً على ، وأنا أرقد على سريري فاقد الوعي . . لأن مبروكة ناولتني حبوباً منومة بدلاً من الدواء ! ولكن سمارة جاء بمفاتيح المنزل كلها وجربها في الباب حتى فتحه . . وأيقظني برش الماء البارد على وجهي .

وجهت عالية حديثها إلى سمارة قائلة : وماذا فعلت بالورقة الصفراء يا سمارة ؟ . .

فأجابها : أدركت أن هذه الورقة هامة ، وخفت أن
تكتشفها مبروكة معي . . لأنها كانت تراقبني وتتعبني ،
فقررت أن أعطيها لكما . . ولما سنحت لي الفرصة وضعتها
تحت الصحن في صينية الطعام .

فصاحت عالية : إذن هو أنت الذي وضعت الورقة
على الصينية !!

فأجابها سمارة : نعم . وعندما أتيت بالصواني إلى غرفتكما
كان في نيتي أن أتحدث معكما ، ولكن مبروكة كانت
تسمع عليّ ، ففكرت في تأجيل الحديث إلى حين رجوعي
لاسترداد الصواني .

فقال له عارف : كفي يا سمارة ! فباقي قصتك نعرفه ، وإن
كنا سمعناه من وراء الأبواب ولم نره ! . . فقد حدث أن
تبعك سلطان إلى الدور العلوي . . وقذف بك من أعلى
السلم . وكنا نحن خائفين على حياتك ونريد مساعدتك ،
ولكن لم يكن بيدنا حيلة فبابنا مغلق علينا ، ولكننا شاهدناك
من النافذة وأنت تعرج وتجرى نحو الحظيرة . .

فأجابه سمارة : نعم . هربت من الرجل الشرير . .
وذهبت للاطمئنان على ظريفة لئلا تكون مبروكة ذبحتها .

صمتوا جميعاً . . إلى أن وجه عامر حديثه إلى عمران
قائلاً : ولكن لماذا يا جدو لم تخطر والدنا ، أو تذكر لنا
شيئاً عن وفاة عمّو محروس ؟

فكر عمران قليلاً وقال : عندما سقط أخي محروس
من فوق الصخرة ، كنت أعتقد أنه لاقى حتفه قضاءً وقدرًا . .
ولكن الإشاعات راجت بأنه مات قتيلاً . . فلم أذع النبأ
وقتئذ حتى تظهر الحقيقة .

فقال عامر : يمكنك الآن أن تعلن النبأ . . فقد اعترف
سلطان بأنه هو الذي دفعه من فوق الصخرة . . وقد سمعناه
بأنفسنا وهو يصرّح بذلك لمبروكة .

فقال عمران والحزن يكاد يعصره : الحمد لله الذي
جاء هذا الكشف أخيراً على أيديكم . .

أخذ عمران يجول بنظراته بينهم ، إلى أن وقعت عيناه
على عامر ، وكان ما زال يحمل الصندوق بين يديه . فقال له :
والآن ما هي قصتكم ، وكيف حبستم مبروكة وسلطان في
النفق ؟ وما هذا الذي تحمله بين يديك ؟

فأجابه عامر : هذا الصندوق هو نهاية قصتنا ،
ولكن يحسن أن تسمع بدايتها . .

كان عمران يستمع إلى قصتهم باهتمام زائد حتى ختمها
عامر . . ثم قَدَّم إليه الصندوق . .

وعندما قرأ عمران ما كتب على الورقة الصفراء بالمداد
الأحمر :

إلى عمران الطَّيِّب . . من محروس الشقى ، اغرورقت
عيناه بالدموع وقال : هكذا كان أخى محروس دائماً . . .
ولد شقى . . ولكنه طيب جداً .

وضع عمران الصندوق أمامه على السرير . فأخذ الجميع
يتطلَّعون إليه في لهفة . وقد تعمَّد عمران أن يبطئ في فتح
الصندوق ليزيد من إثارتهم . وأخيراً لم تتمكن عالية من ضبط
شعورها ، فصاحت فيه : افتح بسرعة يا جدو !

فتح عمران الصندوق . . وظهر ما في داخله . . كانت
ثروة طائلة من الجنيئات الذهبية . . وبعض الفصوص الماسية ،
يخطف وميضها الأبصار !

ظَلُّوا جميعاً ساهمين وهم لا يصدِّقون أعينهم ، إلى أن
سأله عالية : وماذا ستفعل يا جدو بهذه الثروة الكبيرة ؟
نظر عمران إليهم في عطف وحنان ثم قال : أنا لم أتعب
في هذه الثروة . . وماذا عساي أن أفعل بها الآن في هذه

السنَّ المتقدمة . .

سيأخذ هذه الثروة من تعب وعثر عليها . . أنتم الثلاثة . .

ولسمارة نصيب كبير فيها جزاء أمانته وإخلاصه وشجاعته . .

فقال له عامر : من واجبتنا أن نتعب لردِّ الحق إلى
أصحابه ، والعدل إلى نصابه . فنحن إن قبلنا الثروة فسوف
نقبلها كحق يؤول لنا كأحفادك ، وليس جزاءً أو مقابلاً
لما فعلناه .

نظر الجدُّ إلى أحفاده نظرة الإكبار وقال : جزاكم الله
خيراً ، وهذا ما كنت أنتظره من أحفادي الشجعان ، فقد
أثبتتم أنكم رجال .

ضحكت عالية على جملته الأخيرة ، وعادوها مرحها
المعهود وقالت : وحتى أنا يا جدو ؟ . .

فضحك عمران وقال لها : إنما أقصد أن لك شجاعة
الرجال فقط يا عالية . . .

۔ ۔ ۔

هجم عليه المغامرون الثلاثة يقبلونه ، في حين وقف
سمارة في مكانه بلا حراك . . أما مرجان فكان يغطُّ في نوم
عميق .

وبعد أن هدأ الحال ، أخذ عمران يضحك عالياً ،
ولما سأله : ما الذى يضحكك الآن يا جدو ؟
أجابهم قائلاً : تصوّروا !! لولا مرض عارف وعالية
بالإنفلونزا . . . لظلّ هذا الكثر مدفوناً إلى الأبد !!

° ° °

(تمت)



مرجان

عارف

عالية

عامر

لغز الخريطة العجيبة

ما هو لغز الخريطة العجيبة ؟
 هي خريطة ناقصة مهمة . اكتشفها الجد
 «عمران» . واسمان بأحفاده المغامرين «عامر»
 و«عارف» و«عالية» على فك رموزها . ترى ماذا
 تكشف عنه هذه الخريطة ؟
 يجتاز المسامرون المخاطر الرهيبة . ويتعرضون
 لدسائس ومؤامرات للوصول إلى فك طلاسم هذه
 الرموز .

هل ينجحون ؟
 هذا ما ستعرفه في هذا اللغز المثير .



دار المعارف